موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

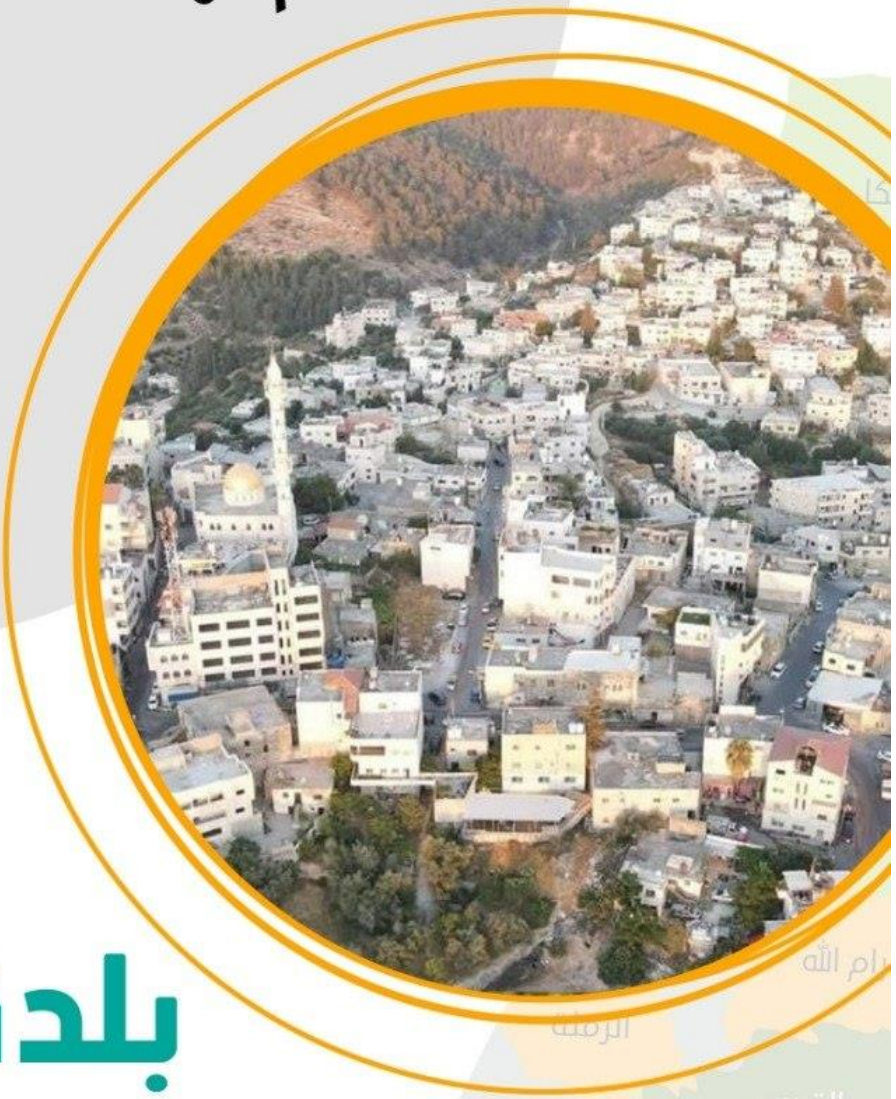

بلدة بيت أولا

محافظة الخليل

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة بيت أولا

بلدة بيت أولا محافظة الخليل

للباحث والمؤرخ

مروان الماضي

تدقيق لغوي: علاء الدين النمر

تصميم الغلاف: محمد الدلو

تنسيق وتنضيد: أريج عودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء 8

تقديم 9

مقدمة 10

الفصل الأول لمحة جغرافية 11

التسمية 11

الموقع والحدود 11

المعالم الأثرية 12

السكان 12

الفصل الثاني لمحة تاريخية 18

فلسطين تحت الانتداب 19

الحكم الأردني 21

ما بعد عام **1967**م 21

الفصل الثالث الحياة الاقتصادية 22

الزراعة 22

البيانات الزراعية والإحصاءات: 24

الثروة الحيوانية 28

الصناعة 29

الآثار والمواقع السياحية 29

الفصل الرابع التعليم وأعلام ومؤسسات بلدة بيت أولا 31

التعليم في عهد الانتداب البريطاني 31

سياسة الانتداب التعليمية 32

التعليم في بلدة بيت أولا 33

عائلات بيت أولا 36

شخصيات معروفة وشهداء بيت أولا 36
الفصل الخامس الحياة الاجتماعية والفلكلور 38
السكن 38
الطب الشعبي 38
الأمثال الفلسطينية 41
الفصل السادس الفولكلور الفلسطيني في بلدة بيت أولا 45
الغناء: أنواعه ومعانيه 45
نماذج من الأغاني والمواويل 47
الرقص الشعبي (الدبكة والسامر) 53
الأفراح والزواج ومراحله 54
العتابا في الأعراس 57
الألعاب الشعبية 64
الفصل السابع مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 66
الفصل الثامن أدب المقاومة السلمية 73
التمثيل والمسرح 73
رواد الفن السينمائي: آل لاما 78
الفصل التاسع سياسة دولة الانتداب البريطاني لإقامة دولة "إسرائيل" 81
شهادة شخصية من عكا 81
قوانين وسياسات مصادرة الأراضي والاضطهاد بعد 1948 84
محاولات الاستمالة والمقاومة 86
الفصل العاشر انتفاضات شعب فلسطين 88
الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987) 89
الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000) 90
الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 91

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعيون، تهفو له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر. والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله، هم الباقون والمبعدون من أصحابه، عرب فلسطين.

لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه. أجواء الكون تحمله، وموجات الأثير المسموعة منها والمرئية والمقروءة تنقله، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كانت لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، إفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم، زيتون، تين، لوزيات، وحمضيات. إنها أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج في "الجرمق" و"كنعان" بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت، والتي تنخفض 435 متراً تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة: مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، آمورية، يونانية، رومانية، فارسية وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع: الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. لهذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين. ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني ذي الأيديولوجية الخاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التاريخ، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين. فأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية: ماضيها، حاضرها، ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية. وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، ويهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا، فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية، أي تندرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة "أدب" بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. فعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، والحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل ما يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف، لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص، والحس الوطني الصادق، والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، وأن يمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين. واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة، وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف). واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري، ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب، الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي جعلوه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي. هل هذا الحماس الأمريكي في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدين في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول

لمحة جغرافية

التسمية

ترجع تسمية **بيت أولا** إلى اللغة الآرامية، بمعنى "**البيت المقدم** "أو "**البيت الشريف** ."أول من سكنها هم **العرب الكنعانيون**، وتداولت عليها حضاراتٌ عدة عبر التاريخ الطويل، كالرومان واليهود والبيزنطيين واليونان. ومنذ الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة **عمر بن الخطاب** وحتى اليوم، أصبح طابعها عربياً إسلامياً.

الموقع والحدود

تقع بلدة بيت أولا إلى الشمال الغربي من مدينة الخليل، على بعد 16 كم منها. يحدُّها من الشرق ترقوميا وحلحول، ومن الغرب الخط الأخضر، ومن الشمال والجنوب نوبا.

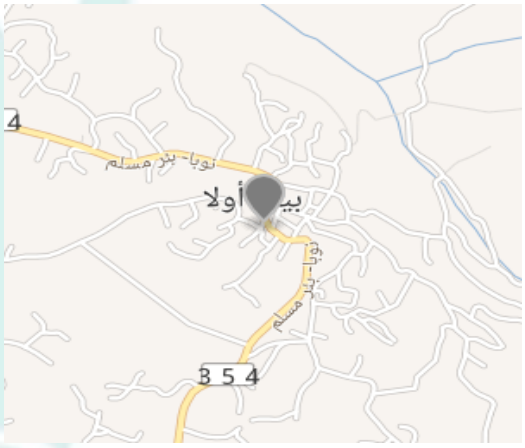

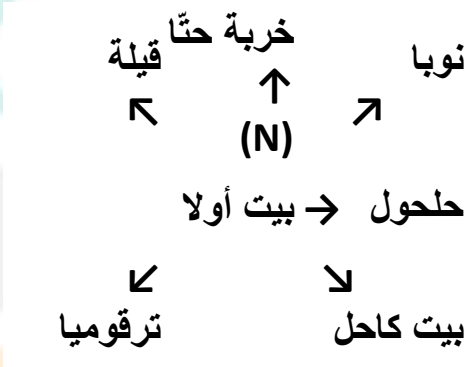

المعالم الأثرية

ويحيط بالبلدة عددٌ من المعالم الأثرية، منها: خربة بيت نصيب، وخربة البرج (برج بيت نصيب)، وخربة بيت نصيب الشرقية والغربية. وكلمة "**نصيب** "كنعانية الأصل تعني تمثالاً أو عموداً. كذلك توجد **خربة قيلا**، وهي امتداد للبلدة الكنعانية "**قعيلة** "التي تعني الحصن. وهنالك أيضاً خربة أم علاس، وبيت كانون، وطواس، وعطوس، وعقوقة، والجورة، وبيت لام، وخربة خروف، وخربة الصفا.

ومن المواقع الأثرية في البلدة **البرج**، وهو برج بُني في العهد الروماني، بالإضافة إلى **بئر القوس**، وهو بئر ماء بُني قبل أكثر من مئة عام.

السكان

بيَّنَ التعداد السكاني الفلسطيني الذي جرى عام 2007م أن عدد سكان بلدة بيت أولا بلغ 10,885 نسمة، منهم 9,687 نسمة يقطنون تجمُّع بيت أولا، و939 نسمة في قيلا، و268 نسمة في رأس الجورة. وبلغ عدد الأسر في البلدة 1,712 أسرة، وعدد الوحدات السكنية 1,949 وحدة. ويشكِّل سكان بيت أولا نسبة 1.96% من مجموع سكان محافظة الخليل. وبلغ عدد السكان في عام 2013م حوالي 15 ألف نسمة داخلها، ومثلهم في الشتات.[1]

والمنطقة بشكل عام جاذبةٌ لسكن البشر، تتمتع بمناخ صيف حار وشتاء بارد، وبشكل خاص في شهري تموز وآب صيفاً، وكانون الثاني وشباط شتاءً. وتعتدل الحرارة في الأشهر الأخرى. أمطارها شتوية، تمتد من تشرين الثاني حتى أواسط نيسان، ومعدلها السنوي بين 400 و520 ملم. وتقوم صخور المنطقة باقتناص الماء من الغيوم فوقها، وتمتص الصخور الكلسية الماء مثل الإسفنجة، وتذيب قسماً من الكلس فتحدث فجواتٍ بالصخر لتصبح مع الزمن خزاناتٍ واسعةٍ ومغائرَ مملوءةً بالماء. وتخرج المياه على السطح عند منحدرات الأودية والصدوع والفوالق الأرضية، فتكثُر الينابيع والكثافة السكانية في المنطقة. كما تجود المزروعات من حبوب وبقول وخضار وأشجار مثمرة، على رأسها الزيتون والكرمة، إلى جانب الفواكه واللوزيات والأشجار البرية والأعشاب المتنوعة لرعي المواشي من ماعزٍ وأغنام.

وترجع أهمية موقع بلدة بيت أولا إلى قربها من مدينة الخليل وما يجاورها من تجمعات سكانية (بيت كاحل والظاهرية والسموع جنوباً، وحلحول شمالاً، ودورا غرباً). والطرق المعبَّدة تيسِّر لأهلها سرعة التنقل وتقصير الزمن والمسافات.

كانت المنطقة في الماضي البعيد مكسوَّةً بغطاء أخضر من الغابات والأعشاب، تتغلغل فيها الحيوانات الوحشية والمستأنسة، إلى جانب الطيور بمئات الأنواع والأجناس. وتعرضت هذه الكنوز للتدمير بيد البشر بالقطع الجائر. ولما زال الغطاء النباتي، تعرضت التربة للحتِّ ونقلتها المياه من الأعلى نحو المناطق السفلى، وباتت الجبال جرداء قاحلةً، واتسع التصحر وتراجعت الإمكانيات في استغلال الأرض. وقامت بعض الدول العربية الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط بمشاريع رائدة بغرس ملايين الشتلات سنوياً، وصِرْنا نرى نجاحها في إعادة الخضرة لكثير من الأراضي.

تضاريس المنطقة مرتفعة تتألف من هضبة واسعة تضم السهول المستوية منخفضات تخترقها الأودية في أسفلها طبقات من الترسبات والمنطقة بشكل عام جاذبة لسكن البشر تتمتع بمناخ صيف حار وشتاء بارد وبشكل خاص في شهري تموز وآب صيفا وكانون ثاني وشباط وتعتدل الحرارة في الأشهر الأخرى أمطارها شتوية تمتد من تشرين 2 حتى أواسط نيسان معدلها السنوي بين 400/ 520مم وتقوم صخور البال بإقتناص الماء من الغيوم فوقها وتمتص الصخور الكلسية الماء مثل الإسفنجة و تذيب قسما من الكلس فتحدث

فجوات بالصخر لتصبح مع الزمن خزانات واسعة ومغائر مملوءة بالماء وتخرج على السطح عند منحدرات الأودية والصدوع والفوالق الأرضية وكثرة الينابيع والكثافات السكانية تعم المنطقة كم تجود المزروعات من حبوب وبقول وخضار وأشجار مثمرة على رأسها الزيتون والكرمة الى جانب الفواكه واللوزيات والأشجار البرية والأعشاب المتنوعة لعي المواشي من ماعز وأغنام وترجع أهمية موقع بلدة الأولى الى قربها من مدينة الخليل وما جاورها من تجمعات سكانية تتجلى بيط والظاهرية والسموع جنوبا الى حلحول شمالها ودورا غربها والطرق المعبدة تيسر لأهلها التنقل في سرعة التنقل وتقصير الزمن والمسافات ,كانت المنطقة في الماضي البعيد مكسوة بغطاء أخضر من الغابات والأعشاب تتغلغل فيها الحيوانات الوحشية والمدجنة الى جانب الطيور بمئات الأنواع والأجناس.

وتعرضت هذه الكنوز للتدمير بيد البشر بالتقطيع ولما زال الغطاء النباتي تعرضت التربة للحت ونقلتها المياه من الأعلى نحو المناطق السفلى وباتت الجبال جرداء قاحلة واتسع التصحر وتراجعت الإمكانيات في استغلال الأرض وقامت بعض الدول العربية الواقعة والمحيطة بسواحل البحر الأبيض المتوسط بمشاريع رائدة بغرس ملايين الشتلات سنويا

وصرنا نرى نجاحها في إعادة الخضرة لكثير من الأراضي وفي هذا السياق سأذكر القارئ الكريم في بعضها لأهميتها الدوائية والطبية:

النباتات والحيوانات الطبيعية في بلاد الشام: لقد تعرضت هذه الكنوز الى التدمير لبناء المساكن والتدفئة والسكك الحديدية والأثاث والنوافذ والأبواب ...الخ :

ويمكن ايجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيريه واضحة كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدفلة: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي بذورها الغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سروية يستخدم في الطب وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج فتجفف في الطل وتهوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول وتفيد كمقشعة للبول وللالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وخواص مضادة للديدان الحلقية كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحيانا ويكثر في المزارع ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة ومنقوع ثماره المغلية تستعمل لأمراض الجذام ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقويا للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزلية وجذوره قوية تمتد الى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم. يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حول تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسه:نبات عشبي أيضا وهو معمر يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية كما يستفاد منها في المرطبات، وتستعمل طبيا قي حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب كمما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون) يستعمل كمنشط للأمعاء وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية تستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات مغذية ويعتبر أساسا صناعيا للمنتوجات العطرية والتجميل.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في الروماتزم وأن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة والتهاب اللثة ومخاطية والتهاب الرئة وقرحة المعدة و الأثني عشرية كطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق السعتر له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء ويستعمل المنقوع أيضا لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر.

الخلة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة.

شجر الخرنوب: يكثر شجر الخرنوب في المنطقة وبشكل خاص على سفوح المرتفعات وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخرنوب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست) ويغمر الخليط بالماء يوما كاملا حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلوآ ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء ويجفف الخليط ويستخدم ووقودا للطوابين ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجا وتزداد حلاوته ويتحول لونه الى الحمار ثم الى اللون الأسود ويدعى دبس الخروب أو (الرب). ويعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها وتموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عونا لهم في الطعام. وأحيانا يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف اليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس، والملفت للنظر أن أوراق شجر الخرنوب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ وتزال بالصابون العادي سوى بورق الخرنوب .

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل الى المعاصر , وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري وكل الدولاب يديره حيوان ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين فيضع اللولب على القفف فيسيل الزيت الى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى ألبدود. وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون.

ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آليا عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم تجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار. وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان. والمعصرة الآلية في شعب يسمونها "البابور"

الصبار: وشكل الصبار حزاما يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي) ويعطي هذا النبات ثمرا لذيذ الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب وتعتبر أحزمة الصبار لحدود ا الكروم سياجا تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلوية لالتئام الجروح.

الحمضيات: ينتسب الى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون- البرتقال – اليوسفي- الماندلينا والكريب فروت- والكباد.. الخ) وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها تتزين أراضي شعب وبشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور بينما تنقل الرياح هذه لروائح الى مسافات بعيدة وعلل حواف الوديان تنموا أشجار الدفلى وهي تلبس أزهارا وردية ملوحة بالأبيض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أأماكن بعيدة يتغذى برحيق االفواح .

وبعض الأسر كانت فيما مضى تستخدم طحين الذرة في طعامها ويقال عن رغيف الذرة البيضاء (الكراديش).

الطيور والحيوانات البرية: إن طبيعة أراضي المنطقة من أراضي ومناخ وتباين في التضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها منها الآن ومع ذلك فإن بعض منها لا يزال موجودا بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال.

طيور الحجل والشنار: ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماما ويقال عنها ستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقا لها صوت عذب عندما تصدح باكرا تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون وكان صبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة لحمه قاس ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان الى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة حجمها متوسط ولحمها طيب يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم. السمن والفري: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جذوع الشجر الملتف ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ والنقيفات وهذا الطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ. والهدهد طير موسمي يكثر في الربيع والخريف جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه صيده غير محبب لقلة وجوده أولا ثم لاتجاهات دينية ثانيا.

وهناك من الطيور الشائعة مثل (البلابل)والدوري الكركس والشحيبر والحنيني والآمي والسنونو..الخ من الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب)

الحيوانات البرية والزواحف:

توجد مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي و ا لذئب وغيرها بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر لزمن كما حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافد الخلد والسحالي والسلاحف والحرادين ..)

ومن الحيوانات البرية واتي يؤكل لحمها الغزلان والأرانب وهي تعيش في بيئة صالحة في المدجنة وكانت كلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم.

الماعز: إن بيئة المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشلل كبير في أراضي أولا لكثرة لمراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال والماعز بحاجة ماسة الى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له لذلك نرى أعدادا منها تسرح في وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعددها وقد اختصت بعض الأسر بتربيته ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن وتدر على أصحابها المال الوفير ولم اعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في شعب منذ زمن بعيد إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكر الى جانب الذخائر والجنود هذا في الحروب وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر وظلت المواصلات قائمة حتى اليوم فالسيارات على أنواعها تمخر بواديها ليل نهار تعد بالمئات يوميا والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت وتطورت من قرية متواضعة الى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات البلدات.

الحمير والبغال والخيول: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود وبقي منها عدد قليل يوظف في ا لركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل اليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية.

النحل: ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ وكثرة أشجار كلها ساعدت على وجود الإنسان في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد الى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها وقال عنها أنها أرض الخمر

والعسل وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية النحل بالطرق القديمة وقد تطورت الآن الى أساليب حديثة تدر أموالا على أصحابها إن العسل المنتج من النوع الجيد لأن النحل يتغذى من الأزهار المتنوعة والكثيرة .

الدواجن: إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام في تربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان فيبيع البيض والحمام والأرانب الى باعة متجولين أخذوها الى أسواق المنطقة في المدن أو عن طريق المقايضة المحلية .لقد كان الفلاح في بلدة شعب وضواحيها يعتمد كلياً في طعامه على الحمام ولم يخل بيت في شعب من طيور الحمام التي كانت تكفيه من لحوم أفراخها (زغاليل) المشهورة بلذة طعمها في طبخات متنوعة (الملوخية، شوي، ومحشية بالرز، مقلية تغطى على الرز المنسف)كما يدخل الحمام وفراريج الدجاج في المسخن (المحمر)..الخ.

وعلى هذا كان الإنتاج الحيواني يكفي حاجة السكان والفائض يعد للتصدير إما الحليب فقد اعتاد الناس في البلدة وبشكل خاص أصحاب المواشي إذ يحولونه الى ألبان (جبنة، لبن مجفف، زبدة، سمنة).

المراجع:

(1) الموسوعة الحرة ويكبيديا.
(2) النباتات الطبيعة والطبية في بلاد الشام أحمد عويدات.
(3) الحيوانات الطبيعية والمدجنة في بلاد الشام وصفي زكريا

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

إن طبيعة أراضي بيت أولا وتنوعها من صخور وتربة ونباتات وأحراش ومراعٍ ومناخ ومياه، ساعدت على جذب الناس للسكن منذ أقدم العصور. وقد استقبلت المنطقة أجدادنا الكنعانيين منذ خمسة آلاف عام. ويدل على ذلك علمُ الآثار وما خلَّفه السابقون من آثار، فالمدن الكنعانية شاهدة على نشاطهم في البناء والزراعة والفنون، وحفر الصخور والخزانات، وصناعة الفخار والنحاس ثم الحديد، وصناعة الألبسة الكتانية والصوفية والموسيقى. وكانت حضارتهم متقدمة على حضارات الشعوب المجاورة.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على الادعاء بأنهم مؤسسو الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية، وأخيراً الحرية والديمقراطية. فهل كان لليهود حضارة؟ دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول **غوستاف لوبون**" :ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها وكان معظمها بلدات صغيرة مبعثرة لا تجمعها وحدة. وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوّروها، وآباراً محفورة لم يحفروها، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال صناعة الفخار والخبز بالتنور وصنع الخمور وتربية النحل وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص."

ويُتابع **غوستاف لوبون**" :ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً من الكنعانيين، الذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية."

ويقول **سيغموند فرويد** (عالم النفس اليهودي): "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثر أخلاقهم بالأخلاق البابلية. لقد شعروا وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولَّدت عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم."

ويقول المؤرخ **فيليب حتي**" :ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدَّمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقَّاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويُتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم "فينوس" إله الخصب، وكان الرجل يقطع حلمة بشرته ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم.

ويقول العالم **بروستد**" :لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة وستة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية، إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم، وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلّت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكن الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم ويكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم، وما حدث لهم من ظلم الشعوب عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة، وبشكل خاص في القرون الوسطى. وهم يعترفون في كتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه. إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة.

أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي وباتت أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصهم من الحكم العثماني. ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسراً يهدد الأمة العربية بقوته العسكرية ونهب خيرات العرب، وكأن العرب هم أصحاب الهولوكوست. إن الحضارة التي تتغنى بها إسرائيل هذه الأيام ما هي سوى حضارة غربية جلبها المهاجرون إلى فلسطين بمساعدة الاستعمار، من رغيف الخبز حتى السلاح النووي. يقول أبو تمام الشاعر المعروف: "اغترب تتجدد."

والعرب لم يكونوا نكرات حتى زمن الحكم العثماني، إذ بقيت الحضارات العربية والإسلامية ماثلة. فقد قام السلطان العثماني سليم الأول بسحب كبار الفنيين والحرفيين من مصر وبلاد الشام إلى إسطنبول للإفادة منهم في تطوير المهن عندهم، على حساب حرمان العرب من هذه المظاهر الحضارية. وبقي للعرب في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وعرب شمال أفريقيا حضاراتهم وتراثهم.

فلسطين تحت الانتداب

لقد تأثر الهيكل الاجتماعي العربي الفلسطيني بشكل واضح تحت الانتداب البريطاني. إن صك الانتداب البريطاني ينص على مساعدة اليهود بإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، وهو وعد بلفور الذي صدر في 1917/11/2م. وقامت بريطانيا بتعيين أول مندوب لها في القدس، وهو **هيربرت صموئيل** اليهودي، ومعه مخطط تنفيذ الوعد.

وقد كتب **جورج ستيوارت** (George Stewart)حاكم لواء حيفا في أوائل نيسان 1922م إلى **تشرشل** وزير المستعمرات تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها وماله من أثر قوي على موجة الاستياء التي تعم مختلف سكان العرب في فلسطين، إلى حد تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة.

ويُتابع هذا الحاكم في رسالته ويقول: "فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة. كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت، فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل إن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة. وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي مُنحت للمؤسسات اليهودية وأصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم."

ويضيف: "أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى، وإن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض. فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وأنه ليَجِدُ من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول. ويرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية."

لقد كانت بريطانيا متحمسة بشدة في تشييد المرافئ والمصانع والطرق وتوفير المواصلات والمؤسسات للدولة الصهيونية المنتظرة، وأقامت ما يلي (إلى جانب الميناء البحري في حيفا) وأعطتها للصهاينة لقمة سائغة على طبق من ذهب:

1) **المعسكرات** لجيوشها التي استوعبت أكثر من 80 ألف جندي للدفاع عن المنطقة ضد الألمان، ثم لاحقاً للتصدي لثورة عرب فلسطين.
2) **شبكة سكك حديدية** كانت أغنى شبكة في منطقة الشرق الأوسط.
3) **مطار مدني** في مدينة اللد كان أعظمها في المنطقة، وإلى جانبه مطار آخر في قلندية قرب القدس، بالإضافة إلى مطارات جوية في سهل عكا والعفولة وغيرها من المناطق الفلسطينية.
4) **أول مصفاة بترول** في حيفا، وكانت أكبر مصفاة في المنطقة، وقد مُدَّت لها أنابيب البترول من العراق عبر سورية.

كما ساعدت الدولة المنتدبة الظالمة الصهاينة في هجرة الغرباء إلى أرض فلسطين، ومنحتهم الحرية باستخدام السلاح، وغضت الطرف عن تهريب المعدات العسكرية بأنواعها. كما شجعت الصهاينة ومنحتهم أراضي "الأميرية" (وهي أراضي السلطة العثمانية) التي قُدِّرت بـ 650 ألف دونم.

إن صك الوعد الذي لا يملكه ينص على إقامة وطن لليهود في فلسطين على أن يضمن حقوق السكان العرب. إن مفهوم الانتداب جاء ليُساعد أهل البلد على حكم أنفسهم بأنفسهم. بينما عملت سلطة الانتداب عكس ذلك، وسلَّمت للصهاينة إقامة دولتهم بدون مشقة، إذ تم إعلان قيام دولة إسرائيل في 28 نيسان 1948م، أي قبل خروج دولة الانتداب بشهر. بينما وقفت سلطة الانتداب مواقف معوقة تجاه شعب فلسطين، نذكر بعضاً منها:

- اتبعت بريطانيا سياسة السلطة العثمانية في إثارة النعرات العائلية والطائفية والتمييز بين الطوائف والفلاحين بطرق شتى.

- أغلقت المصارف العربية التي كانت تعين المزارعين وتموّلهم بالأدوات الزراعية ومواد التخصيب.
- رفضت الاحتجاجات العربية الفلسطينية بوقف الهجرة ووقف وعد بلفور، وقابلت هذه الطلبات بالقمع والسجن والعقوبات الجماعية.
- حاربت ثورات عرب فلسطين المتكررة (ثورة البراق 1929م، وثورة فلسطين الكبرى التي رافقها إضراب الستة أشهر عام 1936م، ومعركة يعبد في جنين، ومعركة أم الدرج). واستخدمت سلطة الانتداب الطيران والمدفعية ضد الثوار العرب، ومارست العقاب الجماعي بحق القرى.

دخلت بريطانيا فلسطين عام 1918م وتركتها في 1948/5/15م. وسقطت حيفا ويافا وطبريا ثم سمخ وبيسان أمام أعين جيشها الحقود وممارساته الإجرامية ضد عرب فلسطين.

وبحسب إحصاءات عام 1922م البريطانية، سُجِّل في بيت أولا 825 نسمة، ارتفع عددهم بحلول عام 1931م إلى 1045 نسمة، وجميعهم مسلمون. وفي عام 1925م قُدِّرت مساحة أراضيها بنحو 24,045 دونماً، ينقسم استخدامها إلى أمور زراعية وإنتاجية، بما فيها أقل من 75 دونماً فقط كمساحة عمرانية.

الحكم الأردني

في أعقاب حرب النكبة عام 1948م، وبعد اتفاقيات الهدنة عام 1949م، أصبحت بيت أولا تحت الحكم الأردني. بلغ عدد سكانها عام 1961م 1677 نسمة.

ما بعد عام 1967م

منذ حرب الأيام الستة عام 1967م، أصبحت بلدة بيت أولا تحت الاحتلال الإسرائيلي. وفقاً للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، بلغ عدد سكان البلدة 10,885 نسمة في عام 2007م، و 14,537 نسمة في عام 2017م. تبلغ مساحة بيت أولا الإجمالية 22,432 دونماً، منها 74.5% تقع في مناطق تخضع للسلطة الوطنية الفلسطينية في الشؤون المدنية بينما إسرائيل مسؤولة عن الأمن فيها، و25.5% تقع في المنطقة (ج) تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة.

المراجع

(1) تاريخ سورية القديم، ج1، فيليب حتي.
(2) تاريخ الحضارات، جورج حداد.
(3) تاريخ الدولة العثمانية في القرنين الثامن والتاسع عشر، عبد الكريم رافق.
(4) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

(زراعة، صناعة، تجارة، سياحة)

الزراعة

كانت الزراعة قبل زمن الحكم البريطاني نشطة. فالعمالة كانت متوفرة، وفي العقد الأول من حكم بريطانيا لفلسطين كان الفلاح يعمل في أرضه، ويبيع إنتاجه في الأسواق، ويحصل على المال لشراء حاجاته من ثياب وسكر وأرز وقهوة، إلى جانب الكبريت ووقود الكيروسين. وبالمقابل، يبيع الفلاح غلّات أرضه من قمح وشعير وعدس وذرة وزيتون، إلى جانب ما ينتجه من ألبان (جبن، زبدة، سمن)، ومن الدواجن (الفراخ والبيض)، ومن الأغنام والماعز. يزرع الأرض بالحبوب في أواخر الخريف، ويحصد ما زرع في أواخر أيار، ويجمع الحبوب بعد درسها في أكياس القنب. ويحفظ قسماً منها في بيته، والباقي يطرحه في السوق للبيع، وكذلك الحال بالنسبة للبقول من عدس وفول وحمص وسمسم وكرسنة وغيرها.

يعتبر قطاع الزراعة من أهم القطاعات الاقتصادية في بلدة بيت أولا، حيث أن 42% من القوى العاملة في البلدة تعمل في النشاطات الزراعية المختلفة، يليه سوق العمل الإسرائيلي الذي يستوعب 40% من القوى العاملة في البلدة. وقد أظهرت نتائج المسح الميداني لتوزيع الأيدي العاملة بحسب النشاط الاقتصادي في بلدة بيت أولا ما يلي:

- **قطاع الزراعة** :ويشكل 42% من الأيدي العاملة.
- **سوق العمل الإسرائيلي** :ويشكل 40% من الأيدي العاملة.
- **قطاع الموظفين** :ويشكل 10% من الأيدي العاملة.
- **قطاع التجارة** :ويشكل 5% من الأيدي العاملة.
- **قطاع الخدمات** :ويشكل 2% من الأيدي العاملة.
- **قطاع الصناعة** :ويشكل 1% من الأيدي العاملة.

يوجد في بلدة بيت أولا العديد من النشاطات الاقتصادية والصناعية الأخرى، منها:

- مصنع سوبر نمر للأبواب الحديدية.
- مصنع العنان للخزائن الكهربائية.
- مصنع ستار للدهانات.
- مصنع اللمبات الكهربائية (أضواء السقف).
- 5محلات لبيع الملابس.

- 4ملاحم.
- 5ورش حدادة.
- 6ورش نجارة.
- 10محلات لتقديم الخدمات.
- أكثر من 100 محل للبقالة (سوبر ماركت).

تبين أن الفئات الاجتماعية الأكثر تضرراً في بلدة بيت أولا نتيجة الإجراءات الإسرائيلية، هي على النحو التالي:

1) العاملون السابقون في إسرائيل.
2) المعيلون لأسرة تتكون من ستة أفراد فأكثر.
3) صغار المزارعين.
4) صغار التجار.
5) ربات البيوت والأطفال.

وكان الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم. وفي العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب نوجزها:

1- محاربة الفلاح في أرضه، إذ سُنَّت قوانين لتحويلها إلى اليهود، منها أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تُصادر ثم تحوَّل إلى اليهود، أو أن أرض صاحبها الذي لم يفلحها خلال سنتين تُصادر لصالح المستوطنين اليهود، وكذلك الأراضي التي لم تُدفَع عنها الضرائب والرسوم.
2- إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار تقل عن أسعار المنتج المحلي، دون حماية المنتج الفلسطيني، مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي.
3- تشغيل العمال الفلسطينيين العرب في مشاريع الانتداب، مما جذبهم بعيداً عن مزارعهم.
4- بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قُدِّرَ عدده بـ 80 ألف جندي في كل أنحاء البلاد. وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت، كمثل دول الخليج هذه الأيام، بحاجة إلى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.
5- إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور للحكم، وسمحت للصهيونية بإقامة دوائرها الخاصة وجمعياتها ومؤسساتها، حتى باتوا يعيشون في دولة داخل دولة، يتمتع الصهاينة فيها بكل الحقوق دون منح الفلسطينيين أي حق.

لقد لعبت بيت أولا ومدن الخليل وقراها دوراً بارزاً في اقتصاد سكانها ورفاهية أحوالهم المعاشية، رغم ثقل الاحتلال الجاثم فوق صدورهم، الذي ينغص أفراحهم ويدمي قلوبهم ويدمر البنيان الذي جمعوه وأقاموه بعرق الجبين وجهد الأكباد والقلوب.

فقد اشتهرت بيت أولا بزيتونها وعنبها وبقولها من عدس وفول وحمص وسمسم، ومن الخضار كالبندورة والباذنجان والكوسى بشكل خاص، والخيار والقثاء، إلى جانب السعتر والبقدونس والكزبرة والنباتات الطبيعية الطبية التي سبق ذكرها. ومن الألبان الكثير، الذي

يُدرُّ على مربي المواشي من الأغنام والأبقار دخلاً من خلال ما يُصنع منه من لبن رائب ولبن جامد وجبنة وزبدة وأسمن. وقد أقيمت في البلدة بعض المعامل لإنتاج مثل هذه المواد. وينشط تجار البلدة ببيعها في الأسواق.

لقد قام بعض الفلاحين في البلدة ببناء حظائر الدواجن وتربية النحل في صناديق خاصة وتقديم الغذاء اللازم لها، وقد تضاعف الإنتاج وتحسَّنت جودته وزاد المردود المادي. كما بُنِيَت البيوت البلاستيكية لزراعة الخضار بالري بالتنقيط، وتم تركيب السلالم لتسلق النباتات من بندورة وباذنجان وفول وحمص وبازيلاء وغيرها الكثير.

البيانات الزراعية والإحصاءات:

تبلغ مساحة بلدة بيت أولا حوالي 24,000 دونم، منها:

- 16,800دونم أراض قابلة للزراعة.
- 2,000دونم أراض سكنية.
- 5,200دونم مراعٍ وغابات (5,150 مرعى مفتوح، 850 غابة حرجية).

وتجدر الإشارة إلى أن بلدية بيت أولا قامت بإعداد مخطط هيكلي للبلدة بمساحة حوالي 5,000 دونم.

جدول (1): استعمالات الأراضي في بيت أولا (المساحة بالدونم)

المساحة الكلية	مساحة الأراضي السكنية	المساحة الصالحة للزراعة		الغابات الحراجية	المراعي المفتوحة
24000 دونم	1200 دونم	**مزروعة:** 7884 دونم	**غير مزروعة:** 8916 دونم	850 دونم	5150 دونم

المصدر: وزارة الزراعة الفلسطينية(2006)

تعتمد معظم الزراعة في بيت أولا على مياه الأمطار. أما المساحة المروية فتعتمد على مياه الينابيع وآبار الجمع المنزلية.

الخضروات:

يبيّن الجدول التالي الأنواع المختلفة من الخضروات البعلية والمروية المكشوفة في بلدة بيت أولا. وتعتبر الكوسا والبندورة أكثر الأنواع زراعةً في المنطقة.

نوع الخضار	مروية	بعلية
مجموع الخضراوات الثمرية	31 دونم	321 دونم
مجموعة الخضراوات الورقية	18 دونم	7 دونم
مجموع البقوليات الخضراء	4 دونم	25 دونم
الأبصال	13 دونم	0
خضراوات أخرى	65 دونم	2 دونم
المجموع	131 دونم	355 دونم

جدول (2): مساحة الأراضي المزروعة بالخضروات البعلية والمروية المكشوفة، في بيت أولا (المساحة بالدونم)

كما يوجد في البلدة 23 دونماً من البيوت البلاستيكية، تزرع بالخضروات المختلفة، وأهمها الخيار. ومن النباتات الطبية التي تزرع في بيت أولا الميرمية والزعتر، وتبلغ المساحة المزروعة بهما 4 دونمات تروى بمياه الشبكة العامة.

البقول :يجمعون الحمص والفول والعدس والسمسم بعد جفافها. ويحرقون سنابل القمح في شهر نيسان بعد نضوجها، ويشعلون النار وعلى لهب النار يلوحون السنابل حتى تحرق النار شعيرات السنابل، وبعد أن تبرد السنابل يفركونها بأيديهم فيحصلون على الفريكة. بينما يسلق القمح وبعد أن يستوي بفعل الحرارة يسمى "البرغل". ويُطحن العدس والفول لإنتاج شوربة العدس والفول، ولأجل طبخة البصارة مع الملوخية.

يلعب التين دوراً كبيراً في حياة أهل بيت أولا لتعدد أصنافه وجودة حلاوته، ويقدَّم طازجاً على الموائد، ويُصدَّر الكثير منه إلى الأسواق المحلية ثم إلى المدن، والباقي يُجفَّف للمونة أو يُوضَع في مغلفات تُصدَّر للأسواق أيضاً.

الزيتون :احتلت أشجار الزيتون في البلدة مساحات واسعة، تعيش على الأمطار الشتوية وتثمر في أيلول. يتم قطفها في شهر تشرين الأول وتُنقَل إلى المعاصر، حيث يُهرس حب الزيتون ويوضع في قفف مصنوعة من القصب على شكل دولاب، ثم توضع فوق

بعضها ويضغط المكبس عليها فيُعصر الزيتون. ويسيل الزيت في خزان معدني من الصفيح، أو يُصب في براميل أو خزانات بعد أن يُعصر وتُفرَّغ الواليب. ويبقى مخلفات في القفف تسمى "الجِفت"، تُستخدم في خليط طعام الحيوانات أو كوقود للطوابين.

نوع الأشجار	مروية	بعلية
الزيتون	0	4853 دونم
الحمضيات	0	0
اللوزيات	0	161 دونم
التفاحيات	0	0
الجوزيات	0	147 دونم
فواكه أخرى	0	380 دونم
المجموع	0	5541 دونم

جدول (3): مساحة الأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة في بيت أولا (المساحة بالدونم)

أما بالنسبة للمحاصيل الحقلية والعلفية في بيت أولا، فإن مساحة الحبوب تبلغ 1,360 دونماً، وأهمها القمح والشعير. إضافة إلى زراعة مساحات من البقوليات الجافة، مثل العدس والحمص.

نوع المحصول	مروية	بعلية
الحبوب	0	1360 دونم
أبصال ودرنات وجذور	0	25 دونم
بقوليات جافة	0	175 دونم
محاصيل زيتية	0	0
محاصيل علفية	0	85 دونم
محاصيل منبهة	0	0
محاصيل أخرى	0	30 دونم
المجموع	0	1675 دونم

جدول (4): مساحة الأراضي المزروعة بالمحاصيل الحقلية والعلفية المختلفة، في بيت أولا (المساحة بالدونم)

الثروة الحيوانية

ويبيّن من المسح الميداني أن حوالي 5% من سكان بيت أولا يقومون بتربية الماشية، مثل الأبقار، الأغنام، الماعز، والدجاج اللاحم والبياض.

نوع الحيوان	العدد
الأغنام	3600
الأبقار (ومجموع العجول والثيران)	164
الماعز	1000
الجمال	0
الخيول	5
الحمير	55
البغال	10
الدجاج البياض	20 ألف
الدجاج اللاحم	40 ألف
خلايا النحل	199

جدول (5): الثروة الحيوانية في بيت أولا

الصناعة

بالإضافة إلى المصانع والورش المذكورة سابقاً، كانت المرأة عند الفراغ تحيك بالإبرة والسنارة الكثير من الطواقي والكوفيات والكنزات وألبسة الأطفال والشالات النسائية والزنانير والجرابات.

رغم جهودها الفائقة في تربية الدواجن، توجد ورشات عديدة لتصليح المعدات الميكانيكية مثل السيارات والدراجات والسخانات والغسالات والأجهزة الكهربائية. وقد استثمر بعض سكان البلدة أيضاً الأحراش في صناعة الفحم، وآخرون في صناعة الكلس. وفرَّت الله لهذه البلدة كل مقومات هاتين الحرفتين من حجر وشجر.

صناعة الكلس :تجمع الحجارة وتوضع في حفرة واسعة بشكل قبة، ثم توضع الأخشاب بداخلها وتُوقَد النار فيها، فيحترق الحجر وتبقى النار مشتعلة والصخر يزداد حرارة، ثم تُطمر قبة الحجر بالتراب. وفي اليوم الثاني، وبعد ذهاب الدخان، يُزاح التراب عن سطح الحجارة ويصبح الحجر جاهزاً للتصنيع. ثم تُعبَّأ الحجارة بأكياس وهي "حية"، وتوضع في مخازن جافة بعيدة عن الرطوبة. وعند بيعها، يُحذَر من استخدامها دون وضعها في برميل فيه ماء حتى يخفف الماء من حرارتها التي تبلغ درجة الغليان عند وضعها، ثم بعدها تنقل ويُجفَّف الكلس للاستعمال.

صناعة الفحم :يجمع الحطب من أركان الحرش ويقطع، ثم يوضع في حفرة واسعة ويترك له فجوة توقد في داخلها النار فيشتعل الخشب وتدب النار فيه. وعندما يرى العامل أن النار نالت القبة من جميع أركانها، يطمرها بالتراب أيضاً، وتبقى النار تعمل ببطء حتى يخبو اللهب وينقطع الدخان، عندها يكون الفحم قد أصبح جاهزاً. وفي اليوم الثاني يزاح التراب ويجمع الفحم ويعبأ في أكياس من القنب، ويؤخذ لخزنه في مناطق جافة بعيدة عن الرطوبة، ثم ينقل إلى الأسواق لبيعها هناك.

وكانت هذه المعامل من مصادر الدخل المهمة. وهناك ورشات البناء والعمران وعددها مناسب، تتميز بالجودة والمتانة والجمال. وقد زاد جمالها وروعتها أسقف القرميد الأرجوانية، التي زادت مع الشوارع المنظمة من سحر المنظر وجودة الطقس المحبب للقريب والبعيد.

الآثار والمواقع السياحية

يحيط بالبلدة عددٌ كبيرٌ من المعالم الأثرية منها: خربة بيت نصيب، وخربة البرج (برج بيت نصيب)، وخربة بيت نصيب الشرقية والغربية. وكلمة "نصيب" كنعانية معناها تمثال أو عمود. كذلك هناك خربة قيلا وهي امتداد للبلدة الكنعانية "قعيلة" وتعني الحصن. وهنالك خربة أم علاس، وبيت كانون، وطواس، وعطوس، وعقوقة، والجورة، وبيت لام، وخربة خروف، وخربة الصفا.

وتتراوح الآثار المكتشفة في البلدة بين مساكن قديمة مهدَّمة، ومغائر محفورة في الصخور، ومدافن منقورة في الصخر. كما يوجد آثار أساسات كنيسة وآثار قصر روماني، وتظهر آثار معاصر العنب المنقورة في الصخر، وبقايا معاصر الزيتون، ومطاحن الحبوب القديمة جداً، وآثار قنوات ري وبقايا نواعير على الينابيع. كما توجد آثار معامل الفخار وكميات من الفخار الكنعاني، والأدوات الفخارية والزجاجية التي تعود للعصور والحضارات المذكورة. كما يوجد كميات كبيرة من العملات البيزنطية واليهودية والرومانية واليونانية،

وتوجد العملات الإسلامية خصوصاً الأموية والعباسية والعثمانية، وبعض أصناف الحلي من الذهب والفضة التي وُجدت في القبور والمدافن.

يوجد في بيت أولا ستة مساجد، وهي: مسجد أبو معبد الكبير، مسجد أم علاس، مسجد حوارة، مسجد جبل النجار، مسجد البزايعة، ومسجد قيلا.

أما بالنسبة للمواقع الأثرية، فهناك ثلاثة مواقع أثرية، إلا أنها غير مؤهلة لاستغلالها لأغراض السياحة، وهذه المواقع هي: منطقة بئر القوس، منطقة قيلا، ومنطقة البرج.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج1، ص753، رجا الخالدي.
(2) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج2، ص259، أحمد طربين.
(3) العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة.
(4) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
(5) موقع فلسطين في الذاكرة.

الفصل الرابع
التعليم وأعلام ومؤسسات بلدة بيت أولا

اقتصر التعليم زمن العثمانيين على أبناء التجار والمتنفذين والأفندية وملاك الأرض، بينما كان الفقر يعم 75% من الشعب. ومع تحرر العرب من الحكم العثماني، ظل أهالي البلاد من التجار والموسرين يرسلون أبناءهم إلى القدس ودمشق والقاهرة وبيروت، وهم لا يشكلون أكثر من 3% من السكان. وظل باقي الشعب تحت حكم العثمانيين، كغيرهم من بلاد الشام، أربعة قرون من الزمن.

التعليم في عهد الانتداب البريطاني

كان الأهالي العرب هم من ينفقون على المدارس الحكومية سنوياً نحو 150,000 جنيه، بينما نجد المبالغ المخصصة في ميزانية الحكومة لعام 1934/1933 قد بلغت حوالي 180,000 جنيه، أي ما يزيد عن 30 ألف جنيه مما تبرع به الأهالي العرب لمدارسهم الحكومية.

أما مناهج التعليم فقد شابها عيوب كثيرة، إذ كان واضعو المناهج أيام الانتداب البريطاني من المعلمين الغرباء الذين نزلوا مصر، واستخدمهم البريطانيون عيوناً لهم تحت إدارة بعض الإنكليز الذين كانوا يعملون في وزارة المعارف المصرية.[1]

ولما دخل الجيش البريطاني فلسطين أدخل معه أولئك الأشخاص، ومكافأة لهم عينوهم في إدارة الأقضية وإدارة المعارف، فكان منهم المستشارون لحكام المناطق والمفتشون بإدارة المعارف.

وقد تلخص منهج التعليم في المدارس الابتدائية (وأعلى صفوفها الرابع الابتدائي) بدراسة القرآن الكريم والدين واللغة العربية قراءة وكتابة، ثم الحساب والجغرافيا والتاريخ. والدارس لهذه المناهج يجدها مجرد حشو معلومات غير هادفة، وتشويه للتاريخ بتركيز على التاريخ اليهودي للقدس على أنها كانت عاصمتهم التي زينوها بالقصور والمعابد، بينما تركزت الجغرافيا على إبراز المستعمرات اليهودية.

لقد امتنع معلمو المدارس عن اقتناء هذه الكتب التي ألفها الغرباء وعن تدريسها. وأمام هذه النقمة، عمدت حكومة الانتداب إلى امتصاص غضب الأهالي، فعينت جورج أنطونيوس (وهو عربي) مساعداً لمدير المعارف، كما قلصت من هيمنة مفتشي المعارف الغرباء، وعينت لكل فرع من فروع الدراسة مفتشين أخصائيين، وأبعدت عن الاستعمال الكتب التي ألفها واضعو المناهج القديمة، وقررت بدلاً عنها ما وضعه المختصون من أبناء البلاد.

ومع ذلك، فإن المناهج الخاصة بالتاريخ والجغرافيا بقيت مقصرة عما هو مطلوب.[2] فلم تعتنِ عناية كافية بدراسة التاريخ الوطني الفلسطيني والتاريخ العربي، كما كان ينقصها توضيح الروابط الجغرافية والقومية التي تجعل للبلاد العربية وحدة طبيعية وقومية. ولكن الوعي السياسي العربي الذي حمله المعلمون وغيرهم من المشتغلين بالتعليم كان كفيلاً بسد هذه الثغرات في مناهج تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا.

إن أشد ما يظهر القصور في التعليم زمن الانتداب يتصل بعدد المدارس وعدد الطلاب المقبولين فيها. فقد بلغ عدد الطلاب العرب في العام الدراسي 1945-1946 في جميع المدارس الرسمية 123,775 طالباً، بينهم 81,042 طالباً في المدارس الرسمية. وأما عدد الأولاد العرب الذين كانوا في سن التعليم عام 1946م (بمن فيهم أولاد قبائل البدو) فقد قُدِّر عددهم بـ 316,917 فتى وفتاة. وهكذا يتضح أن حوالي 40% من الفتيان الفلسطينيين كانوا محرومين من نعمة التعليم. وأكثر ما يظهر هذا القصور في مدارس القرى، فقد كان في البلاد في أواخر عهد الانتداب 732 قرية فضلاً عن مضارب البدو (ولاسيما منطقة بئر السبع). فقد بلغ عدد مدارس الصبيان في القرى عام 1945-1946 الدراسي 377 مدرسة، وعدد مدارس الإناث 55 مدرسة. أي أن قرى البلاد كانت بحاجة إلى أكثر من 355 مدرسة للبنين و677 مدرسة للبنات ليعم التعليم في الأرياف الفلسطينية.

أما مراحل التعليم زمن العثمانيين، فقد جاء في الموسوعة الفلسطينية (ج2) للدكتور عبد الكريم رافق ص939 قوله: "وما جاء في سنجق عكا والبلقاء عام 1893-1894م الدراسي أنه كان في طيرة طولكرم 48 طالباً من الذكور. وقد أحدثت السلطات العثمانية مدارس جديدة وزادت عدد الصفوف من الرابع ابتدائي حتى الصف السادس، أي حلقة ابتدائية كاملة".[3]

سياسة الانتداب التعليمية:

تولت سلطات الانتداب مسؤولية التعليم، وخلفت في ذلك الحكم التركي وورثت عنه ما كان موجوداً من مدارس وأجهزة ونظام. وقد تركت معظم ما كان موجوداً على حاله، وكان أبرز ما أحدثته من تغييرات إحلال اللغة العربية محل اللغة التركية في المدارس.

وقد ركزت السياسة التعليمية على التعليم الابتدائي دون الثانوي، لإرغام الطلبة على الاكتفاء بالسنوات الخمس الأولى الابتدائية، وذلك عن طريق تضييق سبل متابعة الدراسات العليا، والتركيز بالتعليم الثانوي على تخريج معلمين للمدارس الابتدائية وفصله عن سبل الحياة المختلفة. ولضمان هذه السياسة، كان على الحكومة أن تضع لعرب فلسطين نظاماً تعليمياً يرمي أساساً إلى التمسك بالمركزية في الإدارة، لتحول دون تقدم المدارس. كما كانت تتسلط على المفتشين وتتشدد مع المدراء والمعلمين، مستخدمة سلاح التسريح والإرهاب لضمان عدم مشاركة العرب في التخطيط والتنفيذ.

ومنح مدير المعارف الإنكليزي نفسه سلطة طرد أي معلم ينشر تعليماً غير آمنٍ لسياسة "الوطن القومي اليهودي"، كما حال دون إقامة علاقات ثقافية مع الأقطار العربية الأخرى، تحقيقاً لغاية الانتداب المتمثلة في وضع البلاد في أحوال سياسية واجتماعية واقتصادية من شأنها المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي.

وبموجب هذه السياسة، كان على دائرة المعارف (ممثلة بمديرها ونائبه البريطاني والموظفين الإنكليز فيها) وضع المناهج التعليمية والنظام الإداري القائم، حيث تتمسك بالمركزية على المدارس العربية، بينما كانت المدارس اليهودية تدار من قبل اليهود أنفسهم بكل مقومات التعليم من مناهج ومعلمين ومراحل تعليم وغيرها. كما حال الانتداب دون الاستفادة من المثقفين والدارسين العرب الذين حصلوا على علومهم في الخارج.

وكان الاعتماد على الطرق التربوية التقليدية القائمة على التلقين، لا على تنمية طريقة التفكير، مما أثر على مدارك الدارسين وطرائق استخدام تعلمهم على نحو مفيد في مواجهة مشاكل الحياة المتطورة. كما أن المناهج الموضوعة كانت بعيدة عن التوجيهات الثقافية العربية وقيم الحضارة العربية الإسلامية، وكان له آثار سلبية على خلق جيل عربي مؤمن بقضايا أمته وبقدرته على مجاراة أرقى الأمم.

وبعد خروج الإنكليز من فلسطين تاريخ 1948/5/15م (وهو عام النكبة)، تبدلت الأحوال، وهاجر القسم الأعظم من سكان فلسطين إلى البلاد العربية المجاورة (الأردن، سورية، لبنان، مصر)، ويقدَّر عددهم بـ 750,000 نسمة، والباقي بقي في الضفة الغربية وقطاع غزة. وبعد تبدد حلمهم بالعودة، لم تجد الأسر المهاجرة سوى الحفاظ على أبنائها، فشجعت بناتها وصبيانها على التعليم والتعلم بعد أن فقدوا كل شيء. وساعدهم على ذلك تبني الدول العربية المضيفة لهؤلاء الناس، فأدخلت أبناءهم في المدارس على أنواعها بشكل كبير. وكان العامل النفسي هو المحرك لنشاط الطلاب والطالبات في الحصول على أفضل النتائج.

التعليم في بلدة بيت أولا

بلغت نسبة الأمية لدى سكان بلدة بيت أولا للعام 2007 حوالي 5.1%، وقد شكّلت نسبة الإناث 75.4% من هذه النسبة، وهي تعتبر نسبة كبيرة مقارنة بنسبة الذكور. ومن مجموع السكان المتعلمين، كان هناك 13.6% يستطيعون القراءة والكتابة فقط، و25.8% أنهوا دراستهم الابتدائية، و34.7% أنهوا دراستهم الإعدادية، و20.8% أنهوا دراستهم الثانوية والجامعية.

نوع الجنس	أميين	يستطيع القراءة والكتابة	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	دبلوم عالي	ماجستير	دكتوراه	المجموع
ذكر	89	499	971	1309	505	107	194	2	8	2	3686
أنثى	273	478	874	1175	457	65	149	1	1	1	3474
المجموع	362	977	1845	2484	962	172	343	3	9	3	7160

جدول (1): سكان بلدة بيت أولا (10 سنوات فأكثر) حسب الجنس والحالة التعليمية، 2007

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2009). التعداد العام للسكان والمساكن – 2007، النتائج النهائية.

بلغ عدد المدارس في بيت أولا حسب المسح الميداني الذي جرى عام 2007 ثماني مدارس، منها 5 مدارس للذكور و3 مدارس للإناث.

الرقم	اسم المدرسة	المرحلة التعليمية	نوع الجنس	الجهة التبعة لها
1	مدرسة بيت أولا الثانوية للبنين	الثانوية	ذكور	حكومة
2	مدرسة بيت أولا الأساسية للبنين	الأساسية	ذكور	حكومة
3	مدرسة بئر القوس الأساسية للبنين	الأساسية	ذكور	حكومة
4	مدرسة جابر بن حيان الأساسية للبنين	الأساسية	ذكور	حكومة
5	مدرسة الأقصى الخيرية للبنين	الأساسية	ذكور	خاصة
6	مدرسة بيت أولا الثانوية للبنات	الثانوية	إناث	حكومة
7	مدرسة بيت أولا الأساسية للبنات	الأساسية	إناث	وكالة الغوث
8	مدرسة الأقصى الخيرية للبنات	الأساسية	مختلطة	خاصة

جدول (2): المدارس في بلدة بيت أولا حسب الاسم والمرحلة والجنس والجهة المشرفة

كما أظهرت بيانات وزارة التربية والتعليم العالي في العام الدراسي 2007/2006 أن عدد الصفوف الدراسية في البلدة بلغ 112 صفاً، وعدد الطلاب 3,673 طالباً وطالبة، وعدد المعلمين 152 معلماً ومعلمة.

نوع الجنس	الجهة	عدد المدارس	عدد الغرف الصفية	عدد المعلمين	عدد الطلاب
ذكور	حكومية	4	50	67	1599
	خاصة	1	8	14	182
	وكالة الغوث	0	0	0	0
المجموع		5	58	81	1781
إناث	حكومية	1	11	17	368
	خاصة	0	0	0	0
	وكالة الغوث	1	33	42	1307
المجموع		2	44	59	1675
مختلط	خاصة	1	10	12	217
المجموع		1	10	12	217
الإجمالي العام		8	112	152	3673

جدول (3): عدد المدارس والصفوف وعدد الطلاب حسب الجنس، في بلدة بيت أولا

المصدر: وزارة التربية والتعليم العالي- مديرية الخليل- 2007/2006.

في عام 2006، كان في بيت أولا روضتان للأطفال، وهما: روضة أطفال جمعية بيت أولا الخيرية، وروضة الأقصى، وهما تحت إشراف القطاع الخاص، ويبلغ عدد الأطفال فيهما 109 أطفال.

ويعاني قطاع التعليم في بيت أولا من قلة الغرف الصفية، ونقص الوسائل التعليمية والمختبرات العلمية.

وقد تخلص أهلها من العيش على خبز الطابون والصاج، والسهر على ضوء السراج والفانوس، إلى العيش الكريم على ضوء الكهرباء، والسهر مع الأجهزة السمعية والمرئية والمقروءة، إلى جانب الأفلام والمسلسلات بدل "حكايات ألف ليلة وليلة". وقد تخلصت المرأة من تأمين الخبز وصناعته وتنظيف أرضية البيت من غرف وصالونات ومرافق، ثم غسيل الثياب ومنامة الدواجن والبقر والغنم وحيوانات الركوب، باستخدام الأجهزة من غسالات ثياب وغسالات صحون وطحانات لحم وخضار وفواكه وعجانات وأفران غاز وكهرباء ومكنسات وشفاطات غبار. ومن النساء اللاتي تزايدت أعمارهن عن 70 عاماً "المخضرمات" يعرفن ويشعرن بالفرق، بينما اللواتي لم يعشن ما قبل 1960م لا يشعرن بذلك.

عائلات بيت أولا

تضم بلدة بيت أولا عدداً من العائلات، ومنها: العملة، السراحين، العدم، الفراشات، العكل، الفوارعة.

شخصيات معروفة وشهداء بيت أولا:

أما الشخصيات المعروفة في بيت أولا فهي مناضلوها وشهداؤها، نذكر منهم:

1) **مصباح حامد كفافي** (1/1/1951)، متزوج، من الخليل – بيت أولا، استشهد في 1986/2/19.
2) **محمد زيد طميزة** (1/1/1963)، متزوج، من الخليل – بيت أولا، استشهد في 1989/1/1.
3) **عصام عبد الله مهنا** (7/7/1966)، أعزب، من الخليل – بيت أولا، استشهد في 2001/6/28.
4) **عزام بسام العملة** (23/2/1966)، أعزب، من الخليل – بيت أولا، استشهد في 2003/4/13.
5) **جمال حسن السراحين** (37 عاماً)، ارتقى شهيداً في سجون الاحتلال الإسرائيلي بتاريخ 21 يناير 2007 نتيجة الإهمال الطبي، وهو أحد شهداء الحركة الأسيرة.
6) **عبد الستار الحمصي (أبو علي)**، من الشهداء الذين وثقتهم السجلات النضالية للبلدة في العمل المقاوم.

(رحم الله شهداءنا وأسكنهم جناته، فهم أشرف ما في الدنيا وأغلى بني البشر)

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج2 عام، مصطفى الدباغ.
(2) بلادنا فلسطين، ج7، مصطفى الدباغ.
(3) الموسوعة الفلسطينية، ج2، عبد الكريم رافق.
(4) قرية إجزم، ص130، مروان الماضي.
(5) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
(6) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.
(7) فلسطين في الذاكرة.

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية والفلكلور

(الغناء أنواعه، ومراحل الزواج خطواته، الأمومة والألعاب)

السكن، الديوان، التقويم الشعبي، الطب الشعبي، التفاؤل والتشاؤم، الأمثال، التعاون)

بيَّنَ تعداد السكان الفلسطيني الذي جرى في عام 2007 أن عدد سكان بلدة بيت أولا بلغ 10,885 نسمة، منهم 9,687 نسمة تقطن تجمع بيت أولا، و939 نسمة في قيلا، و268 نسمة في رأس الجورة. وبلغ عدد الأسر في البلدة 1,712 أسرة، وعدد الوحدات السكنية 1,949 وحدة. ويشكل سكان بيت أولا 1.96% من مجموع سكان محافظة الخليل.

السكن

تختلف حياة الشعوب اختلافاً كلياً في طرق المعيشة، ويتجلى ذلك في السكن. يعود السكن كضرورة لإقامة الأسرة، وتختلف المساكن باختلاف مواد البناء المتوفرة في البيئة، إلى جانب تصميم البيت ليتلاءم مع حاجة الأسرة.

ففي بيئة يتوفر فيها الخشب والطين، تُبنى البيوت من هذه المواد (مثل بيوت دمشق القديمة لوجود شجر الحور بكثرة، بينما الحجارة كانت بعيدة). أما في بلدة بيت أولا، فإن الشجر والحجر والكلس والملاط كلها متوفرة. فأبنية البلدة القديمة مبنية من الحجر، والسقف من الخشب، ويمكن بناء أكثر من طابق، والملاط من الكلس أو الطين المخلوط بالتبن. وقد حل الإسمنت والحديد مكان هذه المواد في البناء بكثرة.

وهناك شواهد من بيوت لا تزال قائمة في بيئة ليس فيها حجر وخشب، مثل البيوت المخروطية المصنوعة فقط من قوالب الطين في قرى شمال مدينة حماة السورية. بينما بيوت الدروز في جبل العرب (مدن السويداء) كانت مبنية كلها من الحجر الأسود البازلتي، والسقف تدعمه أعمدة حجرية أو يكون على شكل قبب.

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس العلاج. والأمثلة كثيرة.[1]

في النباتات والمعتقدات:

- تروي عجائز القرى الإسلامية عن **الدالية** (شجرة العنب) أن الأسد سقاها، ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير، وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، وثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير.

- و**ابن آوى** حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.[2]
- **الثعبان**: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة.
- وتحرم المعتقدات الشعبية قتل **السحلية**، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.
- و**الحرباء** :غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق.
- وأخبث الحشرات **أم أربعة وأربعين**، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.
- وشجرة **الرمان** المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع براعمها وتُنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.
- شجرة **الزيتون** :شجرة مبجلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله الله."

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: "درهم وقاية خير من قنطار علاج."
- "عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح."
- "إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه."
- "كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر."

وكان الطب الشعبي يعتمد على ذوي الخبرة من الناس وأدوات العلاج، مثل **كاسات الهواء** لإخراج الدم الفاسد، و**فصد** الدم من الوريد، أو **الكي** بالمسمار. وكانوا يجبرون الكسور **بالقصب البري**، وكذلك بمزج الأعشاب كدواء.

وللبثور، كانوا يستخدمون زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

ويعالجون السعال بنبات البابونج. ولإدرار البول يغلون الشعير. وأما البقدونس والرشح، فيدخّنون الصدر بالزيت الحار، ويسقى المريض البابونج والزوفاء. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل، وللإمساك ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني:

طاسة الرعبة :وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم، مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن (على الغالب آية الكرسي أو المعوذات). ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويسقى به المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها: "بإذن الله تشفي هذه الكأسة من السموم". وبعض الكاسات تحوي رموزاً للأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده. وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن للمرء الشفاء بغض النظر عن برجه.

الأمثال في الطعام

يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة حول الطعام منها:

- "عزم والزم، والأكل نصيب."
- وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: "ما حدش بأكل نصيب حدا."
- وإذا قيل للمدعو: "زيد"، فيجيب: "أكلت اللي فيه نصيب."

من الأمثال الأخرى:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غب غب الجمال، وقم أول الرجال.
- اطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن، عليك بالزيت (للقناعة بالموجود).
- الله يطعم الحمص للي مالوش سنان.
- طلبتها المشتهية، وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل، يصبر على قرص النحل.
- يللي عنده قمح يقرضوه طحين.

التقويم الشعبي

تقسم الأقوال والأمثال الشعبية إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول (عيد الصليب)، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد. وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون "شراقي الصليب" أو "شراقي الخريف"، وهذه الرياح هي الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل: "أيلول طرفه مبلول". وإذا هطلت الأمطار يقولون: "الموسم بدري".[4]

- إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام.
- ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي: "بتدور وما بتلاقي" أي لا خير فيها.
- ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً، ويسمونها "شتوة المساطيح"، لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء، كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح)، والرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، والسابع والثامن والتاسع (يوم منوح). أي شتاء جديد.

- وفي هذا الموعد يبرد الطقس، ويقول الناس: "مالك صيفيات بعد الصليبيات."
- ويقولون: "إن أبرقت على الصليب ما تغيب". وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق: "عند البرق الدنيا بتخبط". وأما إذا أبرقت وأرعدت: "زواريبها طرطقت."
- ويقولون عن المحاصيل: "متى صلبت خربت"، أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع.
- ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو "تقويم العنب والتين"، فيقولون: "يودع العنب والتين السنة."
- وفي أكتوبر (تشرين الأول) تجف مياه الآبار، فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء، ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة: "في عيد لد شد يا فلاح شد، ما بقي للشتاء فعد."
- أما أشهر "كوانين" (كانون الأول وكانون الثاني) فهي "فحول الشتاء والأرض"، والفحول رمز الإخصاب، فيقولون: "بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل". ويوصف كانون بأنه "فحل السنة" أو "محلها."
- أما شهر شباط فهو غير مستقر: "شباط الخباط ما عليه رباط."
- أما "المستقردات" فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول: "راح شباط ودسينا في عجزه المخباط". فغضب شباط وقال لأخيه آذار: "أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة، حتى نجعل العجوز تحرق دولابها"، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش.

أما الربيع فهو فصل العشب، ويبقى أسير "المربعينية". وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار.

الأمثال الفلسطينية

(على سبيل المثال لا الحصر)

- آب اللهاب، أقطف العنب ولا تهاب.
- إبعد عن الشر وغنيله.
- إذا ما كنت فارس، أصبحت الفريسة.
- إطعم الفم تستحي العين.
- إذا كبر ابنك خاويه.
- أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب.
- بدلوا غزلاتها بقرودها.
- بس تسلم المخثاة من ناطورها.
- بيوكل ما بيشبع، ويخرفوه ما بيسمع.
- بيت الأسد ما بيخلى من العظام.
- برش على الملح سكر.
- بين حالنا ومالنا ضاعت لحانا.

- تاجرنا بالكفان بطل حدا يموت.
- تعلم البيطرة بحمير النور.
- جارك القريب ولا أخوك البعيد.
- جرح السيف بيلتئم، وجرح اللسان ما بيلتئم.
- جوع كلبك ليتبعك.
- حاميها حراميها.
- حية من تحت التبن.
- حط راسك بين الروس وقل يا قطاع الروس.
- خبر اليوم بمصاري بكرة، بصير ببلاش.
- خذ الأصيلة ولو على حصيرة.
- خذ بنت عمك بتشيل همك.
- خلي العسل بجراره، تتيجيه أسعاره.
- خليها في القلب تجرح، ولا تطلعها بتفضح.
- داخل رجل لورا، ورجل لقدام.
- دور مع الطريق ولو دارت، وخذ بنت السبع ولو بارت.
- دوده من عوده.
- ذيل الكلب أعوج، ولو عدلته.
- سباعها نامت، وثعالبها قامت.
- سبع صنائع، والبخت ضايع.
- سيد القوم خادمهم.
- شتان بين الثرى والثرية.
- شرابة خرج.
- شايل القدر بالمقلوب.
- صاحت عصافير بطنه.
- صارت عظامه مكاحل.
- صام الدهر وبيفطر على بصلة.
- ضاع الجمل بما حمل.
- ضرب الحبيب زبيب.
- ضربتين على الرأس بتوجع.
- طباخ السم بذوقه.

- طلع من المولد بدون حمص.
- على الباغي تدور الدوائر.
- عصاية المجنون خشبة ومحاكاته.
- على قد فراشك مد رجليك.
- عمر الأسى ما بينتسى.
- علمناهم الشحادة، سبقونا على الأبواب.
- عند العقدة بيزرط النجار.
- فضيحة وعليها شهود.
- في آب اللهاب بتحلق الغيوم.
- فوق حقه دقه.
- في شباط بيشرن القطاط.
- قالوا فلان بيحلب النملة.
- قالوا فلان بيرقص النملة.
- قرد موالف، ولا غزال مخالف.
- قلبي على ولدي، وقلب ولدي عالحجر.
- قليل البخت بلاقي العظم بالكرشة.
- قلنالو ثور، قال إحلبه.
- كلب داير، ولا سبع نايم.
- كله عند العرب صابون.
- كثر التكرار بتعلم الحمار.
- كل ذي عاهة جبار.
- لما بيقع الجمل، يتكثر سكاكينه.
- لو فيه الخير، ما رماه الطير.
- ما حك جلدك سوى ظفرك.
- الغراب يزعق بالخراب.
- من أمنك لا تخونه، ولو كنت خائن.
- ما حدى بقول عن زيته عكر.
- هجين وقع في سلة تين.
- نام مغلوب، ولا تنام غالب.
- ما خاب من استشار، ولا ندم من استخار.

- هين قرشك، ولا تهين نفسك.
- مرات الأب نقمة من الرب، لا بتحب ولا بتنحب.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية عام، ج1، ص182، مصطفى الدباغ.

(2) الموسوعة الفلسطينية عام، ج2، ص236، عبد الكريم رافق.

(3) محاضرة في التمييز العنصري الإسرائيلي، مروان الماضي.

(4) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(5) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.

(6) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج4، فكتور سحاب.

الفصل السادس

الفولكلور الفلسطيني في بلدة بيت أولا

(الأغاني والغناء – الزواج – الولادة والألعاب)

الغناء: أنواعه ومعانيه

الغناء هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني. وتشترك الأمم في هذه الظاهرة الطبيعية، إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة. والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر، ويُلقب مثل هذا الصوت تكتيكياً بـ "**الصوت الصدري** ."أما الغربيون فيختلفون، فهم يهزون أجزاءً من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء في الحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بـ "**صوت الرأس**."

وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:[1]

1) **التحنين** :أغاني للحجاج.
2) **الندب** :تقوم به نساء محترفات تعبر عن الحزن.
3) **المطوعة** :أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
4) **القصيدة** :ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
5) **الموال** :على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
6) **العتابا** :اعتبرها البعض موالاً ذا أربعة أسطر.
7) **الهلابا** :شطران ينتهيان بكلمة "هلابا"، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
8) **الجعيدي** :نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
9) **الزجل** :ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل: الميجانا، موليا، زينة، هويدلي.
10) **الترويد** :يُستخدم في الأعراس ولدى البدو وعند حلب المواشي.
11) **الحداء** :غناء أثناء رعي أو في قافلة الجمال.
12) **أهلالا** :وتُغنَّى في الكروم، كما تشمل الشوباش، ثم **الزغردة** وتقال "إيها" في شمال فلسطين و"آيها" في جنوبها.

وإن أكثرها انتشاراً في كل قرى فلسطين هي **الدلعونة**، وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد. أما المغني فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضميناً. وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً، كان المفروض أن يكون المغني صوته عالياً جهورياً قوياً. ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذا ذاكرة قوية

يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس عادة يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي حول موضوع معين، مثل الفلاحة والمدنية، والبيضة والسمرة، والعلم والمال، والكرم والبخل، والسيف والقلم وغيرها، والكثير منها ما يحدث في السحجة.

الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية

تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية، فالأسرة تعتز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها "**أنا وابن عمي على الغريب** ."والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد بين الزوجين، وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة، وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين فيما لو ترك لهما حق الاختيار.

مثال:

ابن العم يا شعر على ظهري

إن حال الموت لا رده على عمري

ابن العم يا نوبي علينا

إن حال الموت لا رده بأيدينا

وفي حال زوَّج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعاً منه بمهر أكبر، فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب

يا ابن العم أخذوهم الغراب

يا ابن العم رميتك للضبوع

بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء، متمنياً الخير لجاره:

والجار أولى بالشفعة، الجار ولو جار – وقيل من أدرى بحالك؟

والجواب: ربك وجارك.

وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جار المجاورني

ها هي يا جار الرضا، ما انت جار خواني

ها هي ما انت طلاع ع حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني، وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار وملاكي الأراضي والعقارات. وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق، فيتباهى أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين، ويقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي، لفت عليك الأمارة والدراويش

ريدونا ريدونا، نسايب لا تزعلونا

عادتنا نلبس شنابر، ما بتناسب إلا الأكابر

ردونا رودونا، نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية في منطقة المثلث متشابهة ومتكاملة، وكذلك مفردات الفولكلور الفلسطيني، لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة الكم والنوع.

نماذج من الأغاني والمواويل

عن الغربة والهوية:

وأغمس ريشتي في قلب قلبي

وأدمي وجه مغتصبي بحد سكيني

وإن كسر الردى ظهري

وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية، يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار، يا وجهنا حذار

يا وجهاً الذي أراه كلما استدار، وكلما أوشك أن يصير بدراً

أطلقوا عليه النار

المواويل:

على فراق الولف قلبي لواني

صرت مصدوم واتغيرت ألواني

يا ريتني عقد والصايغ لواني

مخبأ بين نهديك والثياب

موال موزون على بحر الوافر:

يا طولك طول الزان لو مال

يا شعرك حيد والجدال لو مال

وبوكي لا قيل أرضا ولا مال

أكيف الرأي عندك والجواب

المواويل والأرض:

حراث يا عمي، رمي على البقر رمي

وكم مليحة تقول: للنذل عمي

حراث يا خالي، لا لي عا ابقر لا لي

وكم مليحة تقول: للنذل خالي

مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجلاه، راح للصايغ حلاه

منجلي يا بو الخرافيش، طاح بالزرع يطاحن

منجلي يا بو رنة، وأنا جبته من غزة

عن قطف الزيتون:

يا زيتون إقلب ليمون، إقلب مسخن في الطابون

يا زيتونة بو مري، هر لي بلح هرلي

يا زيتونة بو عرموش، هريلي ذهب وقروش

من غناء الرعاة:

طلبن الغنم من قرنة الزنار، عرفت الغنم واغشمت هالرعيان

طلبن الغنم من قرنة الوادي، عرفت الغنم وأغشمت الراعي

دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر، بنطلب منك

يارب ما هو غية، بنطلب منك مية

يا رب مطر مطر، حتى نسقي هالبقر

يا رب رشاش رشاش، حتى نسقي هالجحاش

غناء البناء والبنائين:

صلى الله عالزين الهادي، ومعانا مدوا الأيادي

إعطوا المعلم عقاده، ما طلب اعطوه عكا مع حلب

يا معلم مبروكة الدار، بيكبروا ويسكنوعا الصغار

علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيله

يا رب يرجع لها العيلة

فلان نزل البحر وبيدوا بريق

يا رب يرجع سالم من هالطريق

فلان نزل البحر لولح محرمته

يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواءً على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس

وبحر حايط الدنيا بلا قيس

وحق مين خلق الدنيا بلا قيس، قلبي ما هوى غيرك حدا

الدلعونا :تمتاز بأوزان خاصة، وقد عُرفت في جميع أنحاء فلسطين. ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا، على دلعونا

نسم يا هوا الغرب الحنونا

والله إن متت ياما إقبروني

بأرض بلادي بفي الزيتونا

وزريف الطول :يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل.

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك

ياللي رابيي بدلال أمك وأبوك

يومن جانا الخبر إنهم خطبوك

شعر راسي شاب وقلبي انكسر

أبو الزلف :وهي أغنيات الدبكة، تلتزم في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عالعين يا أبو الزلف، عين الزلف لينا

قلبي جرحه الهوا، وين الدوا ليها

جفرا ويا هالربع، عا البير نشالي

يامزنرا بالطقم، فوق الطقم سالي

أغنية العريس الشهيرة يرددها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرهم:

عريسنا عنتر عبس، عنتر عبس عريسنا

عريسنا زين الشباب، زين الشباب عريسنا

عريسنا ابن الكرام، ابن الكرام عريسنا

واللي يعادينا نذبحه، ونقطعه بسيوفنا

الزجل:

بدنا نحكي بدنا نقول، ما بدنا حكي وطبول

بدنا نحرر بلدنا، هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل فإن المعنى يؤدَّى من قبل مغنٍّ أو اثنين، ويسيطر على المغنى جو عاطفي حزين.

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى

شط بحر الفن مركبنا رسا

يلي بأمس جنحه انكسر، حاول الفرار أو ريشه كسا

العتابا :وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام، وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين.

نزل دمعي على خدي من الرأس على

اللي زمَّل الجرة على الرأس انسوا

ديرة بعلبك مع الرأس

وحنا كروم زحلة والعنب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب:

زرعت الهَم في قلبي ع بيته

يارب ترجع الغائب ع بيته

بأنا شاعر وبيدور عبيتها

بالسطرين غاب سقا الله

يوم كنتم لنا قراب، نشرب منابعكم والقراب

ما تقولوا لنا أهل وقراب

لهم أحباب بيوفوق السحاب

يوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني

صهيون عاسخنين عدو

سبع شهدا بالبلدين عدو

وقنابلهم بعرابة لها عدو

عن التشريد:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات

لق علاقات مرات وخيمات

إذا استشهد أخو من الأسرة ومات قيل:

بنام الليل أحلم في حرمن، الدنا منها انحرمنا

بني صهيون أحرقت حرمنا، للعار عاكل العرب

الرقص الشعبي (الدبكة والسامر)

مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي وتتجلى كما يلي:

1) **الدبكة** :وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها، وهي أنواع منها: الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء، والفتوحية، والفرادية (الكرادية)، والسبعاوية، والمثلوثة.

- وعلى سبيل المثال، فإن **الشعراوية** تشبه بالدبكة الشمالية وتقتصر على الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفاعمرو وقضائها.
- وتختلف **الكرادية** عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود "ملوَّح" فيها، وباشتراك النساء فيها بكثرة.
- والدوائر هي الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي.
- وتمتاز دبكتا **الطيارة** و**الخليلية** بالرشاقة والحركات المجهدة، وأنهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.

2) **السامر**: وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس، ثم صارت كلمة "السامر" تطلق على ذلك النوع من شعر الموايا الذي يؤدَّى بطريقة جماعية بالتناوب بين فريقين. ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين، أما في شماله فيقال له "**السحجة** ."يلازمها المغني ويقف في جناح في السحجة، ويغني آخر في الجناح الثاني، وتبدأ المباراة (الأغاني) بأشعار شعبية لها أوزان، يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن. وعادة تهدف هذه الأغنيات إلى مفاهيم مثل الكرم والبخل، والشجاعة والخوف، والغنى والفقر وغيرها.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج4، فكتور سحاب.
(2) الموسوعة الفلسطينية، ج2 خاص، حسن عليوه.
(3) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.
(4) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الأفراح والزواج ومراحله

من التقاليد التي كانت سائدة في الماضي أن تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بولدها، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب وفد من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً.

الخطبة :يتجلى بالعادات والتقاليد. يستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل الخطبة (الوجيه)، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها (أبيها أو ولي أمرها). وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجيزة، بينما تطورت لتصبح كلمة أطول. ويكون الحديث طويلاً حقاً في بعض المناطق.

ويتم العطاء وتُقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، عندها يشرب طالب الفتاة فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً. عندها تسمع النساء الموافقة، فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويقدم الشراب.

من الأغنيات التي تقال عند الخطبة:

على الزنزلخت، على الزنزلخت

ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي

بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر:

على دلعونا يا مدلعنية

وصاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي ب يابيي

منلّى مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج :يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب.

وقبل حفل الزواج، تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة في صناديق وصواني وأطباق و"بقج"، وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج :تقام السهرات (وتُقال لها "التعليلة") مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة وسبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. ويسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات)، ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوة أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس، تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس. وينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تُحَلُّ مشاكل وتُوثَّق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها

يا محمرة يا مبودرة

وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانة ما بطلع

إلا الحاملة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم، يرافقون العريس إلى بيت العروس:

عريسنا عنتر عبس، عنتر عبس عريسنا

عريسنا ابن الكرام، ابن الكرام عريسنا

عريسنا زين الشباب، زين الشباب عريسنا

واللي يعادينا بنذبحه، ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويُحلَّى صدر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص المزخرف. ويُجمَّلُ بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره، وكذلك الحال بالنسبة لحصان العروس في بعض المناطق.

ومن الزغاريد التي تُحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (**المهاهاة**) التالية:

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا

إيه ويها ولا تشمت بنا شامت

إيه ويها حنا إن رحلنا، جعلناك الدلو

وحنا إن نزلنا، جعلنا بيتك الغالي

العتابا في الأعراس

تتضمن العتابا معانيَ ومفاهيمَ للقيم الاجتماعية، وتستخدم الفخر والمديح، وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل. وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة، وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين

بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن

ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه:

يا طولك طول عود الزان لو مال

حيّر الجدال لو مـــــــال

وبوكي لا قبل فضة ولا مال

أكيف الرأي عندك والجواب

السحجات والمناظرات الشعرية في الأعراس

تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم القيم. وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتباريان بأقوال موزونة بمواقف حيوية معينة، على سبيل المثال: السمرة والبيضاء. وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل. وأحياناً تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين.

من هذه المناظرات:

قالت البيضاء:

قالت البيضاء اسم الله علينا

يا ورد مفتح حوالينا

يلي سافرتوا عودوا الينا

لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

ترد السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس

واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا بالبن مايص

واللي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها

يا رمل البحر بتنو يجليها

في البير الخارب والله ارميها

واحكم عليها حكم فرعونا

الولادة:

عندما تلد المرأة، تخرج القابلة لإعلان النبأ. فإن كان المولود ذكراً، تعبّر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت

إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب

إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر

إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا

إيه ويها وما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود إن كان ذكراً أو أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنا

إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي

إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم وترقيص الطفل:

تحاول الأم هز السرير الخشبي (في الماضي) أو المرجوحة، وتأخذ بالغناء ويدعى (**هدهدة**):

نامت عيونك

وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة

على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

للي له يا حمامة

هللي له تينام

وافرشيله الأخضر

والوسايد وريش النعام

ترقيص الطفل :وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافقها أغنية:

ميمته، يا ميمته

ياربي تخليه

وتخليه لميمته

وتكحلله عينيه

وإن شاء الله بيكبر

وبيحمي هالشياب

ويحمل على جنبه

سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان:

وهي متنوعة، وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة. غير أن هناك أغانٍ بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولوا لأمه

يا دموعو لغالية نزلت ع كمو

ومطهر يا مطهر امسح بالشفرة

لا توجعلي رياض ابن الإمرا

اللعب مع الغناء:

تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل، وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يا منيمسة يا منيمسة

يا حبة القريمشة

بعثتني معلمتي

اشتري راس البصل

وقع مني وانكسر

بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس

قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره، تقوم الأم بينما تلف الأم اياه حول رقبة والده، فيقول الأب:

- الأب: أنو فوقي؟
- يرد الطفل: عبد الطوقي.
- الأب: شو بدو؟
- يرد الطفل: حمص مقلي.وينزل الأب طفله قائلاً: طيح نقي.

أغاني الشتاء والأعياد:

يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي

على صلعة ستي

ستي جابت صبي

سمته عبد النبي

حطته بالطنجرة

طلع صحن مجدرة

حطته بالبير

طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي

بيتنا حديدي

عمنا عبد الله

كسر الجرة

شتي وزيدي

على طريق سيدي

سيدي بالمغارة

ذبح قطة وفارة

سيدي في البرية

بيطبخ لبنية

وتُغنى في الأعياد:

بكرة العيد بنعيد

بنذبح بقرة السيد

والسيد ما لو بقرة

بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا طيور طايرة

يا مراكب سايرة

سلمي ع أمي وأبي

وقولي جبينة راعية

ترعى غنم، ترعى سخول

وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار

بعده التين ما نور

ما نور إلا الزيتون

يا زيتون احمل ليمون

الألعاب الشعبية

لعب البنات: لعبة الإكس (الحيز)، والزقطة (القال)، الغماية (الطميمة)، الخويتمة (الخاتم والأصبع)، نط الحبل، لعبة الخمسات.

لعبة الدائرة مع القفز :تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات، يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض، ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا

مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة، وحدة صغيرة

وحدة طويلة، وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

لعب الذكور: كسر البيض، البنانير (الدحل)، لعبة الكورة، لعبة المنه، لعبة الغزة (تُوضع عصاة متينة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز)، كرة القدم، وسباق الركض، والسحاسيل.

الصيد:

كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير، مثل :**النقيفة، الفخ، الدبق، الشبك**، وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية، ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريط مطاط.

الفصل السابع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم، والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين، لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 أكتوبر 1917، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب، وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته، في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها، كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها وتعدادها بآلاف، والسجون والمعتقلات والتشريد. وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين:

1. **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحوَّاسة، عام 1947/12/31**

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حوَّاسة وبلد الشيخ، هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2. **مذبحة قرية سعسع، قضاء صفد، في 1948/2/14**

شنَّت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها، وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال، وقد تماهى العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3. **مذبحة رحوفوت، في 1948/2/27، قرب حيفا**

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4. **مذبحة كفر حسينية، في 1948/5/13**: قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5. **مذبحة بنيامينا، في 1948/5/27**: لقد حدث في هذا الموقع مذبحة، حيث نُسف قطاران، أولهما تم في 1948/5/27 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين. وتمت العملية الثانية في 1948/5/31، حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6. **مذبحة دير ياسين، في 1948/4/9**: مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان، هما الأرغون والتي يرأسها مناحيم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً) وتم الهجوم باتفاق مسبق مع منظمة الهاجاناه، وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية، وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7. **مذبحة الطنطورة، في 1948/8/22**: هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الإكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8. **مذبحة قرية الدوايمة، في 1948/10/29**: هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم، كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة "حداشوت" الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9. **مذبحة يازور قرب يافا، في كانون الأول عام 1948**: تقع القرية على مفترق طرق، تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة. فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ يغآل ألون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني 1949، أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة،

وتولى إسحاق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج، وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة، ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10. **مذبحة شرفات، في 1951/2/7**: في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7، وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت، حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة وأحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى: ثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11. **مذبحة بيت لحم، في 1952/1/26**: وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.

12. **مذبحة قرية قلمة، في 1953/1/29**: هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13. **مذبحة قلقيلية، في 1953/8/28**: حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً"، وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة. تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلته. ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، وقتل كل من يصادفهم في الطريق، وكان حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبد بعض الخسائر، وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14. **مذبحة قبيبة، في 1953/10/15**: في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آرييل شارون" ونائبه شالوم، والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قِبْيَة" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقاماً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية، إلا أن مجلس الأمن، الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبيبة عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجداً وخزان مياه القرية. وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً. وتعد مجزرة قبيبة علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية، والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15. **مذبحة دير أيوب (29 مايو/أيار 1954)**: في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهن بعض الجنود الصهاينة. فهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى. أسرع أهل الطفلة إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلة الأخرى باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوها وأطلقوا عليها النار واختفوا وراء خط الهدنة. وقد توفيت الطفلة مباشرة، وفي اليوم التالي توفيت الأخرى في المستشفى الذي نُقلت إليه.

16. **مذبحة نحالين (29 مايو/أيار 1954)**: قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 جندي باجتياز خط الهدنة والتوغل في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات، حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها. وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17. **مذبحة كفر قاسم (29 أكتوبر/تشرين الأول 1956)**: في 29 أكتوبر/تشرين الأول 1956، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن (الضفة الغربية). وقد تلقى قائد القوة (الرائد شموئيل ملنيكي) الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساء، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه، خاصة بالنسبة لأولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها إلى قائد القوة الإسرائيلية.

كما تلقى ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد "شدمي" بقتل العائدين إلى القرية، بقوله" :**الأفضل أن يكون هناك قتل، لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف.**"

وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة "شالوم"، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم، بينما نجا الرابع ظناً منهم أنه خرَّ أرضاً مع الآخرين. كما قُتلت مجموعة منهم امرأتين كن عائدات من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم "جبرائيل دهان" القيادة باللاسلكي. وعلى مدى ساعة ونصف الساعة، سقط 49 شهيداً و13 جريحاً، هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال سلَّبوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين، إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام. وتغطية على الجريمة، أُجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي، وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي (حيث شهد لصالحه موشيه دايان)، بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة، فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً، حيث أصدر إسحق بن زفي (رئيس دولة إسرائيل) عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم (اليهود الشرقيين) وبين الأشكناز (القادمين من أوروبا وروسيا وأمريكا).

18. **مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس:** شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين ما زالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها إلى إسرائيل للقيام بعملياتهم.

- **الغارة الأولى (30 مايو/أيار 1955م)** :وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربياً وجرح عشرين آخرين.
- **الغارة الثانية (مساء 31 أغسطس/آب 1955م)** :واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوم الأهالي بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية، تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربياً وجرح خمسين.

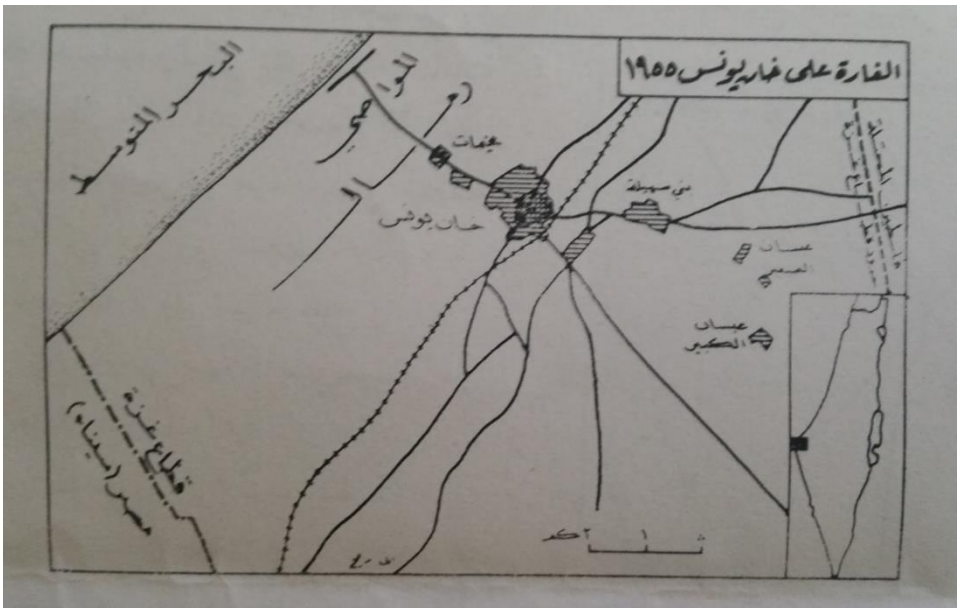

- **في 12 نوفمبر/تشرين الثاني 1956** :قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتل البلدة والمخيم وقتل منهما 275 شهيداً، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائياً على أهالي المخيم، فقتل 111 لاجئاً في المخيم.[5]
- **حرب 1967م – خطة إسرائيل باحتلال بور سعيد عن طريق خان يونس ورفح:** وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بور سعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذي التسليح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجوماً عنيفاً على بلدة خان يونس غير أنها أخفقت، فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدرعاتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة إلى ترك خان يونس محاصرةً والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، وعززت الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية إلى التحول نحو العريش والتقدم باتجاه الشيخ زايد ومناطق العريش.[6]

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص520، ياسين.

(2) الموسوعة الفلسطينية، ج5، ص22.

(3) الموسوعة الفلسطينية، ج5، ص525.

(4) الموسوعة الفلسطينية، ج5، ص530.

(5) فلسطين في الذاكرة.

(6) كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية – الإنترنت).

الفصل الثامن

أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دوراً رائداً في مقاومة الطامعين بأرض العرب، وبشكل خاص فلسطين. وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني، وتنبَّه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر، واستعدوا له بالعلم والمعرفة، وانخرط نشاطهم في الدعوة لوحدة العرب، وكان المتنورون منهم يسعون إلى أن تكون قوة العرب بوحدتهم، ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية.

وقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هدف إلى جمع شملهم، ونشأت الجامعة بسبع دول، وصارت الآن 21 دولة، فـ **ضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها** .ونحن نرى أن الدور جاء على الإسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء، يزوِّرون ويشوِّهون المفاهيم والحقائق، ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم، ويحرمونها على شعوبهم ويحلِّلونها لعدوهم الذي ضبَعَهم، بخلق عدو جديد يهرولون في نجدته، وهم أصل الفتن والبلاء.

إنني يا أخوتي، عندما أكتب عن القرى التي باتت مدناً وبلدات في فلسطين، رأيت ولمست أبناء هذا الشعب، كم هو جبار حقاً! إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلاله. وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات، وقد فعل. ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى. وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات: موليير، وكورني، وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات: "جابر عثرات الكرام"، و"جريح بيروت"، و"عنترة العبسي"، و"صلاح الدين الأيوبي"، و"مملكة أورشليم"، و"طارق بن زياد"، و"فتح الأندلس."

وفي العقد الثاني من القرن العشرين، برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي، وهما:

1) **خليل بيدس** :الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية "**السموأل** "أو "**وفاء العرب** "لأنطوان الجميل.
2) **الشيخ محمد الصالح** :مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثَّلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية "**عبد الكريم الخطابي** "التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي 1927-1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فلسطين، فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة **نصري الجوزي**، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها: جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثَّلت رواية "**هاملت** "لشكسبير، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية. وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن: يافا، عكا، والقدس.

وبعد الحرب العالمية الأولى، ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية. ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1 أبريل/نيسان 1936م، وأدار القسم العربي منها الشاعر **إبراهيم طوقان**، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجَّع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له. وتحدى الجميع وشجَّع فرقة "**الحوزي** "(أول فرقة إذاعية) على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية. وأشهر الفرق هي: فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

رواد كتابة المسرحية الفلسطينية:

- **محمد عزة دروزة** :صاحب رواية "**وفود النعمان على كسرى أنو شروان** "التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثَّلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.
- **نجيب نصار** :صاحب جريدة الكرمل، كتب مسرحية "**شمم العرب** "سنة 1914م، ومسرحية أخرى "**وفاء العرب** "سنة 1929م.
- **نصري الجوزي** :أول من كتب للمسرح المدرسي عام 1935م، وله مجموعتان" :**ذكاء القاضي** "و"**العدل أساس الملك** "أو "**لن أبيع أرضي**"، و"**عيد الجلاء**"، و"**فلسطين لن ننساك.**"
- **شقيق ووديع ترزي** :قاما عام 1934م بتأليف مسرحية "**في سبيلك يا وطن** "التي لاقت رواجاً مرموقاً.
- **الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم** :من مواليد الناصرة، كان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية" :**السجناء الأحرار**"، "**غرام الميت**"، "**قبلة المحبة**"، "**صراع بين العلم والإيمان** ..."إلخ.
- **عزيز ضومط** :من أبناء حيفا، من مسرحياته التي كتبها بالألمانية" :**حسن** "(وترجمت للعربية ومثِّلت في القدس في الأربعينيات)، ثم "**والي عكا** "التي مثِّلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

المسرح الشعري

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقدَّم الشعراء مسرحيات شعرية، منهم:

- **الشاعر برهان الدين العبوشي**)مولود في جنين" :(**وطن الشهيد** "عام 1947م، "**شيخ الأندلس**1949 "م، "**حرب القادسية**1951 "م، "**الفداء**1968 "م.
- **الشاعر محيي الدين الحاج عيسى**)مولود في صفد سنة 1897م" :(**مصرع كليب**1947 "م، "**أسرة الشهيد** "عن أحداث النكبة سنة 1966م (وهو صيدلي وبقي في حلب).

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة **أسمى طوبي** عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثِّلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي" :**نساء وأسرار**"، و"**صبر وفرج**"، و"**قيصر روسيا ومصرعه**"، و"**أصل شجرة الميلاد.**"

وكتب **غسان كنفاني** المسرحيات" :**الباب**"، و"**البئي**"، و"**جسر إلى الأبد**"، وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

المسرح في الأرض المحتلة بعد 1967م:

تأسس **مسرح الغربال** في شفا عمرو (وهو أكبرها)، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال بنشاطاتها المتنوعة الأهداف.

إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات. وقد تعرضت الفرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرق تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري، الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد مُنعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري حسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم.

من جملة المسرحيات التي مُنعت من العرض:

- مسرحية "**أنا راجع يما** "لمسرح آذار.
- مسرحية "**رجال في الشمس.**"
- مسرحية "**كان الموت ونحن على الميعاد** "لمسرح أبناء شفا عمرو.

ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن تعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء العرض وضربهم على خشبة المسرح. والمسرحيتان هما:

1. "**ثمن الحرية** "لمسرح عبلين.
2. "**الناطور** "لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة.

كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية "يوم الطاحونة" التي أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون. واحتجزت الرقابة نص مسرحية "**إجازة** "لمسرح الغربال ستة أشهر، ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

فرقة الغربال وتأسيس رابطة المسرح العربي:

وإن فرقة **الغربال** في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقدَّمت كثيراً من العروض، منها على سبيل المثال لا الحصر" :**رجال في الشمس**"، "**بنادق السيدة كرام**"، "**الملك هو الملك**"، "**الحضيض**"، "**الصوت الغجري** ."كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية "**كفى** "التي عرضها على خشبته.

وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة **مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين**، وقد عُقد في شفا عمرو بتاريخ 6،7،8 سبتمبر/أيلول 1982م، وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان (ثمن الحرية، والناطور)، وقامت الشرطة باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم.

وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين، اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "**رابطة المسرح العربي** ."وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م "**المؤسسة الشعبية للفنون** "ومقرها حيفا، ويديرها الشاعر **سميح القاسم**.

فرقة "بلالين:"

بقيت فرقة "**بلالين** "حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها "**يونس الأعرج** "لناظم حكمت.

وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة بالأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها. فأصبحت تلك الأناشيد مشهورة، تُطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين.

ولفت النَّظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في أغسطس/آب 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

وفي 28 أبريل/نيسان 1975م، شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي" :**بلالين**"، و"**دبابيس**"، و"**كشكول** ."وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة في سبتمبر/أيلول 1973م.

تجربة "بلالين" والمسرح الملتزم:

بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي قدمتها (بلالين) هي" :**قطعة حياة**"، و"**العتمة**"، و"**نشرة أحوال الجو**"، و"**الكنز**."

ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة (مثل "قطعة حياة" و"العتمة").
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع ("قطعة حياة" و"العتمة").
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير ("نشرة أحوال الجو").
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء ("الكنز").
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال، وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية ("العتمة").
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره، من حيث هي الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادي ("الغنمة").

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة. إذ قررت إنشاء "**جريدة المسرح**"، أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها بتقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع، بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً "**مجموعة أصدقاء (بلالين)**"، التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران.

إميل حبيبي ومسرحيته "لكع بن لكع":

أصدر الروائي **إميل حبيبي** حكاية مسرحية بعنوان "**لكع بن لكع**"، راوياً سيرة "الزواج الفلسطيني" منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد، في ثلاث فصول (أو ثلاث جلسات) أمام "صندوق العجب". وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة.

ويصدِّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنواناً لها" :**لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع** ."واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق، ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب.

الإهداء" :إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)". فالأول هو الفلسطيني تحت الاحتلال، والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود. ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى:

أناديكم أشد على أياديكم

وأبوس الأرض تحت نعالكم

وأقول أفديكم

فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.

ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي" :**لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة، ونحن من أهلها، يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب** ."ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية" :**فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي، الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه. وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي، الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي، بقرار من الدولة. وما أدراك ما الدولة، قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه".**

وبطلة الفصل الأول هي "**بدور** "(أو مجنونة بدر)، وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو "**المهرج**"، رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة: فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في "صندوق العجب" أو صندوق العجائب، ليصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها.

ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي، ولاسيما قصة الزير سالم (أبي ليلى المهلهل الكبير)، فتظهر اقتباسات حبيبي منها، ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب بالألفاظ.

رواد الفن السينمائي: آل لاما

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي **آل لاما** من بيت لحم. قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها ليزا خليل بشارة عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء: عيسى، إبراهيم، بدر. وقد تعلم إبراهيم وأخوه بدر فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك. وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج، فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام، وقررا العمل بالسينما المصرية. فأسسا شركة "**كوندور فيلم** "عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تُصور في مصر.

بدر لاما:(1907–1947)

ولد في تشيلي في 23 أبريل/نيسان 1907، وهو ممثل سينمائي فلسطيني. أُصيب بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1 أكتوبر/تشرين الأول 1947، بعد انتهائه من فيلم "**البدوية الحسناء** "عام 1947.

إبراهيم لاما:(1889–1953)

ولد في بيت لحم، وهو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه "**الحلقة المفقودة** "عام 1948، و"**القافلة تسير** "عام 1951. قدم للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل: فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير. تعرض الأستوديو الخاص به لحريق التهم محتوياته من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب، وانتهى بموته منتحراً في مايو/أيار 1953 بعد خلاف مع زوجته.

أهم أفلامهم السينمائية:

- فيلم قبلة الصحراء عام 1927.
- فاجعة فوق الهرم عام 1928.
- معجزة الحب عام 1931.
- شبح الماضي عام 1934.
- معروف البدوي عام 1935.
- الهارب 1936.
- عز الطلب 1937.
- نفوس حائرة 1938.
- الكنز المفقود (قيس وليلى) 1939.
- رجل دين بن امرأتين 1940.
- صلاح الدين الأيوبي 1941.
- ابن الصحراء 1942.
- عريس الهنا 1944.
- البيه المزيف 1945.
- البدوية الحسناء 1947.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج6، ص129، واصف أبو كمال.

(2) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج6، ص168، محمود شريح.

(3) الموسوعة الفلسطينية خاص، ج6، ص169.

(4) أعلام فلسطين، محمد عمر حمادة (أجزاء 1-8).

الفصل التاسع

سياسة دولة الانتداب البريطاني لإقامة دولة "إسرائيل"

شهادة شخصية من عكا:

كنتُ من سكان عكا. وفي عام 1947م، في شهر آب/أغسطس، سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف. وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق سينما البرج فوق بوابة عكا القديمة. وما هي إلا لحظات حتى رأيت سيارة بيك آب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز يصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة، لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية، أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، فأصابوا أحد الجنديين الواقف خلف الرشاش (الهوتشكيس) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه (الذي كان يسوق السيارة) ما حصل، لحق بهم. وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، فقالوا لي إنهم راحوا عن طريق صفد. فأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي، وأرادت الرجوع والهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة، وقتل سائقها وانقلبت السيارة. وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية، وكان الأولاد أمامي، وعندما يرى أحدهم بين الزرع فيصيح للجندي: "مستر، مستر، هذا واحد"، فيلقي مصرعه.[1]

وبعد أن أتم الجندي مهمته، دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره، ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي". ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

والهدف :كان عند منظمة "شتيرن" تحرير جماعتهم من سجن عكا. إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك آب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود. وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

حادثة الشهيد أحمد الحنيطي :جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين. أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة، ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا فواصل طريقه. وبعد مغادرته عكا سمعنا منها انفجاراً ضخماً، وعرفنا بعدها أن الشهيد دمَّر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة "موتسكين". وقد

نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة. ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.

رد الثوار :توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين. وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها فتناولها الحاجز الثاني، وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة. وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب "شبريته" وصاح قائلاً: "امشوا فوق جثثهم". وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل، لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دُمِّر الرأس تماماً. وبين رعشات رجلي وهي تدوس، وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

تزييف الحقائق والدعاية الصهيونية:

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام (وما أكثره) في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، فأركز على البعض منها:

أولاً :أن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وُعِدوا بها. بينما الآثار تثبت عكس ذلك، وأن "شعب إسرائيل" قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس الروماني في القرن السابع ق.م، وطيطس الروماني في القرن الأول ميلادي.

ثانياً :أن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية. فالدين اليهودي معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي، واليهودي الخزري مع اليهودي الأفريقي. وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة، لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى ترجمة لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

ثالثاً :قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية. والواقع غير ذلك:

- **مصر** :كانت تحكم بنظام ملكي مرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، وقناة السويس تحت الاحتلال البريطاني.
- **سورية** :كان لها جيش مستقل تنقصه التدريبات والأسلحة، ولم نتأكد من وجود جيش قوي إلا بعد أن انضم له ضباط فلسطينيون (وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بين 1939-1952م، بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي).
- **الجيش اللبناني** :هو جيش مرتبط بفرنسا، ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد.
- **اليمن** :بعيد آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان إمامهم يبيع طوابع البريد في ديوانه.

- **السعودية** :كان ملكها مشغولاً بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة في تحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول (وبشكل خاص الشركات الأمريكية). وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "عبد الرحمن عزام باشا" (ومعه وفد فلسطيني) أن يرجوه بأن يشترط على الشركات النفطية أن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد، لا أن تساعد الصهيونية. ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

الحقيقة :هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية. علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية (خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم، مثل بلدة الطيبة). إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال، واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.

- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية. تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعتهم بالهدنة. إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل غربية جديدة (ومنها الطيران)، فيما لم توجد طائرة واحدة عربية دخلت أرض فلسطين.
- إخراج **جيش الإنقاذ** من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً (مثل الأسلحة المصرية). وكانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني (صاحب وعد بلفور) يحتل قناة السويس.

إن النقاط التي ذكرتها قليل من كثير، ينبغي على الفلسطيني خاصة أن يعرفها ويدافع عن حقه وشعبه وأمته.

الهجرة في زمن النكبة عام 1948م:

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ أرض فلسطين من سكانها وإحلال اليهود محلهم. وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بـ"أرض الميعاد" التي لا بد من الرجوع إليها، أي للشعب الإسرائيلي، حتى يعمرها إذ أنها أرض السمن والعسل. وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة كل أنحاء المعمورة. وقد ركزت رئيسة وزراء العدو **جولدا مائير** في خطاباتها بقولها" :**إن أرض الميعاد أرض بلا شعب لشعب بلا أرض** ."وقد شاعت هذه الأكذوبة وصدقوها.

وفي عام 1977، كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها. شاهدت بعض العائلات اليهودية التي غرَّرت بهم الصهيونية، إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين. وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم، وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم، فأسقط في أيديهم

وكشفوا أكاذيب الصهيونية، وصمموا العودة إلى إنكلترا. ولكن السلطات ماطلتهم، فلجأوا إلى القنصلية البريطانية بالقدس فساعدتهم بالعودة، ويحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة.

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم. ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين، وتم تدمير 385 قرية عربية وإزالتها من خريطة فلسطين عام 1948م.

وبعد عام 1967م (وفي هذا العام استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض فلسطين وسيناء والجولان)، اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب أشكالاً عديدة، كرد فعل – بزعمهم – لما فعله الأوروبيون (وبشكل خاص في ألمانيا) بهم.

قوانين وسياسات مصادرة الأراضي والاضطهاد بعد 1948:

- **مصادرة أراضي أقرت وكفر برعم** :صودرت أراضي قريتي أقرت وكفر برعم بموجب قانون التملك للأراضي الذي أقره الكنيست في 30 مارس/آذار 1953م، واستحلت السلطات الإسرائيلية أراضي أقرت في 3 سبتمبر/أيلول 1953م.
- **طرد سكان قرية الجلمة** (غرب منطقة جنين) من أراضيهم واحتلها الصهاينة، كما قامت بترحيل بدو النقب.

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم.

1. **قانون كتساف (Kolsow) لعام 1979م** :يقضي بمنع شركات الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات "غير قانونية"، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى. وقد تضمن هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل خاصة، وقد طُبِّق بأثر رجعي.
2. **قانون كتساف للتحسينات** :ينص على فرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.
3. **قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة** :يؤدي إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي. وتمت مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل. وقد صدرت هذه القوانين في 7 يناير/كانون الثاني 1982م، وضمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (المشاف).
4. **تحديد حرية الانتقال** :استعملت السلطات العسكرية فرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري، الذي كان يرفض منح هذه التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5. **تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية** :فرضت سلطات الاحتلال على المواطنين العرب التصرف بمحاصيلهم الزراعية، وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م، استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.
6. **تحديد أجور العمال العرب** :حيث يتقاضى العامل العربي أجراً أقل من أجر العامل الإسرائيلي، والكفاءة واحدة. وكذلك بالنسبة للوظيفة، فإن راتب الموظف العربي أقل من راتب الموظف اليهودي مهما كانت كفاءته. وقد أصدرت بتاريخ 26 ديسمبر/كانون الأول 1981م نشرة "الهستدروت" باللغة العربية أوضحت الفرق بين العامل الإسرائيلي والعامل العربي من المناطق المحتلة.

الاضطهاد الديني:

- **اضطهاد المسيحيين** :لا يزال اليهود يعتبرون المسيحيين الذين يعيشون في فلسطين مرتدين. وقد اضطر بعض الكاثوليك مثلاً لممارسة شعائرهم الدينية سراً خوفاً من أن يوصموا بالخيانة. واضطرت 1500 عائلة من الأزواج المختلفين (يهود مع مسيحيين) الهجرة من فلسطين المحتلة هرباً من الاضطهاد، ذلك لأن أبناء الزواج المختلط كانوا موضع احتقار وطرد.
- **الاعتداء على المقدسات الإسلامية:**

  - حول اليهود مسجد النبي داود القائم على جبل صهيون في القدس إلى كنيس.
  - نسف الصهاينة العديد من المساجد في القرى العربية المحتلة (مساجد قرى البروة، الغابسية، الكابري، كويكات في الجليل، وعشرات المساجد غيرها).
  - محاولة حرق المسجد الأقصى.
  - أغلقت السلطات عدداً من المساجد في المدن والقرى، ومنعت المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية فيها.

- **الاعتداء على المراكز الدينية المسيحية في القدس:** تعرضت أربعة مراكز دينية مسيحية للحريق في مدينة القدس بتاريخ 11 فبراير/شباط 1974م.

التعليم والمناهج:

- وضع الصعاب وفرض المناهج الصهيونية على المدارس العربية. وأكثر من 40% من دروس التاريخ في المناهج التعليمية التي تُفرض على العرب تحت الاحتلال مخصصة لتزوير التاريخ.
- إن 22% من اليهود في فلسطين المحتلة يتعلمون على حساب الحكومة، ولا يمنح طلاب العرب سوى 15.7% من المواطنين العرب.
- إن عدد صفوف الابتدائي في المدارس العربية في العام الدراسي 1981-1982م أقل من العدد المطلوب بحوالي 1400 صف. وكذلك يعاني التعليم في المدارس العربية من نقص المؤهلين والمثقفين.

التحول في وعي عرب 1948 والتأثر بإخوانهم:

في عام 1961م، تألقت اللجنة العربية اليهودية لإلغاء الحكم العسكري. وفي أغسطس/آب 1959م، أعلن دافيد بن غوريون عن سياسة جديدة تخفف من القيود المفروضة على العرب. وتلاه ليفي إشكول في نوفمبر/تشرين الثاني 1966م بإعلان سياسة جديدة أخرى تلغي الحكم العسكري "نظرياً" وتدعي دمج العرب بباقي السكان.

وبعد الصدمة المريرة التي تلت النكسة عام 1967م، انحسرت فكرة الاعتماد على الأنظمة العربية، واستجاب عرب الأرض المحتلة لفكرة الاعتماد على النفس التي تجسَّمت بتفجر حركة المقاومة الفلسطينية وغليانها في كل مكان. وقد حاولت إسرائيل كسب أهل الضفة والجولان عن طريق استخدام عرب 1948 للتأثير فيهم. ويقول حبيب قهوجي إن محاولة إسرائيل فشلت وخاب أملها، وكما قال طوليدانو (أحد الناطقين الإسرائيليين) في صحيفة هآرتس" :**بدلاً من أن يؤثر عرب إسرائيل في عرب المناطق المحتلة للتعاون مع إسرائيل، وقع عرب إسرائيل تحت التأثير السلبي لعرب المناطق** ."وبادرت السلطات عندئذ إلى منع العرب من دخول الضفة.

تجلت الروح الوثابة الجديدة في المظاهرات الكبيرة التي انفجرت عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وحمل المتظاهرون في عكا نعشاً رمزياً للراحل، فيما أغلقت المدارس أبوابها حداداً. وكثيراً ما تظاهر العرب وبعثوا باحتجاجاتهم على التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، كالاعتقالات ونسف الدور وحرق الزيتون وتخريب الأشجار والتربة. وكثيراً ما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء المضربين عن الطعام. وقد عبر حتى السجناء العرب في سجن الرملة عن تأييدهم لزملائهم السجناء من عرب الضفة والقطاع.

وقد تجلى تأثير الضفة والقطاع في عرب الأرض المحتلة 1948 بصورة أوضح في عام 1976م في وقفة "**يوم الأرض.**"

محاولات الاستمالة والمقاومة:

حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استمالة عرب 1948 بمنحهم حراكاً سياسياً وشجعتهم في الاحتفال بمرور عشر سنوات على إعلان قيام دولتهم، كما فعلت بمدينة الناصرة. ولكن عرب أم الفحم وغيرها من قرى المثلث (ضمنها الطيبة) لم يقبلوا ويسكتوا على هذه الإهانة، فعقدوا اجتماعاً ونصبوا مكبرات الصوت التي راحت تذيع خطاباتهم الحماسية الوطنية وأناشيدهم القومية (التي انتشرت بعد تأميم قناة السويس). ونظموا أول مظاهرة كبيرة بمناسبة عيد العمال، أدت إلى التصادم مع الشرطة ووقوع 18 جريحاً من الشرطة وعشرة من المتظاهرين. وحدثت مظاهرة أخرى مباشرة في أم الفحم أسفرت عن إصابة 7 من رجال الشرطة وضابط واحد.

وكانت هذه المظاهرات لطمة للسلطة، التي توقعت أن يكون الاحتفال مظاهرة تأييد وابتهاج لها. وإن كسبت الأمة العربية، فسارعت إلى قمع المتظاهرين واعتقلت 133 شخصاً منهم. فيما اتهم بن غوريون "الأيدي الأجنبية" وراء الأحداث.

وقد أدت هذه الأحداث إلى إحداث انشقاق في سياسة الدولة، ومحاولة البعض منهم تخفيف الظلم وإعطاء حرية الحراك العربي الفلسطينيين. واستغل أفراد القوميين العرب ذلك وأسسوا **الجبهة الشعبية** (التي تألقت سابقاً)، وتحالفت مع الحزب الشيوعي، واستغلت وضعها، وكانت تعارض السياسة الإسرائيلية تجاه العرب وتطالب بتحريرهم من الظلم.

وقد أعطت أحداث مايو/أيار 1958م مثلاً كشف أن المؤسسة الإسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو "الإيجابية" كما تسميها السلطات. وشارك في هذا النقد حتى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية. وبعد أسابيع قليلة، قدمت 2000 شخصية بارزة عريضة يشجبون فيها سياسة الحكومة تجاه العرب. مثلت ذلك بيانات ومذكرات تتعلق بذلك.

المراجع:

(**1**) مشاهدات الكاتب مروان الماضي.
(**2**) الموسوعة الفلسطينية خاص، ص233، خالد الفشطيني.
(**3**) مصادر عن إقامة دولة إسرائيل.

الفصل العاشر

انتفاضات شعب فلسطين

واقع الفلسطينيين بعد النكبة (عرب 1948)

بعدما عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين من أنشطة لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد، لا بد من استعراض ما فعلته الدولة المحتلة بالشعب الفلسطيني الذي بقي في أرضه بعد النكبة، والذين يطلق عليهم "عرب 1948"، وقد بلغ عددهم آنذاك 120 ألف نسمة.

مارست السلطة المحتلة بحق هؤلاء إجراءات قاسية، منها:

- سمتهم "سكان 1948"، ومنحتهم الجنسية الإسرائيلية، وجردتهم من الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً في زمن الانتداب. كان هذا القرار مجحفاً وفرض عليهم حياة في جحيم.
- لاحقاً، وتحت ضغط من الرأي العام العالمي الذي بدأ يميل نحو العرب، أزاحت السلطات عنهم الأحكام العسكرية ومنحتهم حرية حركة مقننة، والعمل في التجارة والصناعة. كما سمحت لبعض القرى بتأسيس بلدياتها، مع تخصيص ميزانيات متواضعة لإحداث مرافق أساسية كالكهرباء والماء والهاتف.
- ورغم ذلك، لم يسمح بالبناء إلا عبر رخصة رسمية، كانت تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وكثيراً ما قوبلت الطلبات بالرفض.

مظاهر التمييز العنصري

تجلت العنصرية بكل أشكالها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **العمالة والوظائف** :كان هناك تمييز واضح بين المواطن العربي والمستوطن اليهودي، حتى لو تساوت المؤهلات أو تفوقت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- **الرواتب** :يحصل المستوطن على راتب أعلى من نظيره العربي، حتى مع تساوي المهنة والمؤهلات.
- **التعليم** :تتعامل السلطات مع التعليم في البلدات العربية كدرجة ثانية، سواء من حيث جودة البناء والمرافق، أو الميزانيات المخصصة للمدارس العربية مقارنة بمدارس المستوطنات.
- **الأراضي** :تعاني البلدات العربية من نقص حاد في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت معظم أراضي القرى ومنحتها للمستوطنات المجاورة.
- **التمثيل السياسي** :على الرغم من أن النواب العرب في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) يحق لهم الدفاع عن مطالب جمهورهم، وقد شكلوا كتلة موحدة ذات تأثير، إلا أنهم يواجهون اتهامات متكررة بكونهم "الطابور الخامس" أو "القنبلة الموقوتة"، وتعرض بعضهم للطرد.

ما بعد حرب 1967

بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات فتح باب اللقاءات بين الفلسطينيين في هذه المناطق وإخوانهم في الداخل، طمعاً في أن يؤثر هؤلاء على أهل الضفة والقطاع لصالح إسرائيل. لكن سرعان ما تبين لهم أن أملهم ذهب هباءً. توحدت المشاعر العربية، وزاد تعلق الفلسطينيين في كل مكان بأرضهم. بعد أشهر قليلة، أوقفت إسرائيل هذه اللقاءات وطبقت سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

واجهت المقاومة الاحتلال بكل الوسائل، عبر رؤساء البلديات والمظاهرات. ردت إسرائيل بالنفي والسجن والاغتيال، كما حدث مع رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة، في عملية إرهاب دولة منظم.

يوم الأرض والمقاومة في الداخل

في **30آذار عام 1976**، خرج أبناء فلسطين في إضراب عام شامل، عُرف بيوم الأرض، تضافرت فيه كل الفعاليات. بدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وتخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية. برزت شعارات مناهضة لإسرائيل على الجدران في قرى الجليل وشفا عمرو وعكا، وبات رفع العلم الفلسطيني حدثاً يومياً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني، بعد أن قامت السلطات الإسرائيلية بتدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، أضرب عرب الداخل إضراباً شاملاً أطلقوا عليه اسم "يوم السكن"، لتتصاعد وتيرة الشعارات المعادية للاحتلال.

وفي حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمتهم من العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987)

كانت شرارة الانتفاضة الأولى من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 **كانون الأول (ديسمبر) 1987**، أثناء تشييع أربعة شهداء سقطوا قرب حاجز إيرز. أطلق الجنود النار مجدداً، فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون آخرون بينهم أطفال. عمت الانتفاضة قطاع غزة ثم امتدت إلى الضفة الغربية.

في اليوم الثالث عشر، شهدت البلاد إضراباً عاماً لم تشهد له مثيلاً منذ الاحتلال. بدأ اليوم بتلاوة القرآن في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وانطلقت الجماهير في كل المدن والمخيمات. خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وحتى صحراء النقب، كما شارك أهل الجولان في مجدل شمس.

نتائج الانتفاضة الأولى:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 1162 فلسطينياً بينهم 241 طفلاً، وأصيب نحو 90 ألفًا، واعتقل 15 ألفًا. من الجانب الإسرائيلي، قتل 160 إسرائيلياً بينهم 5 أطفال.
- **الخسائر المادية** :دمر الاحتلال 1228 منزلاً، واقتلع 140 ألف شجرة. افتتحت إسرائيل سجوناً جديدة لاستيعاب الأسرى، أبرزها سجن كتسيعوت في النقب عام 1988.

- **النتائج السياسية** :حققت الانتفاضة اعترافاً دولياً (أمريكياً وإسرائيلياً) بأن سكان الضفة والقطاع جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين. أدركت إسرائيل أنه لا حل عسكري للصراع، وبدأ البحث عن حل سياسي، مما مهد لمؤتمر مدريد ولاحقاً لاتفاق أوسلو.

من الانتفاضة إلى أوسلو

أدت حرب الخليج الثانية إلى تغيير في المزاج الإسرائيلي، وشعرت إسرائيل بثقة أكبر للقيام بمبادرات سياسية. انعقد مؤتمر مدريد للسلام، تلته مفاوضات سرية أدت إلى **اتفاق أوسلو**، الذي نص على:

- انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً من غزة وأريحا عام 1994.
- اعتراف متبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.
- إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية.
- توقيع "أوسلو 2" عام 1995 لتوسيع الحكم الذاتي وإجراء انتخابات فلسطينية عام 1996، ونقل صلاحيات في مجالات التعليم والصحة والثقافة والسياحة والضرائب.

الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000)

شعر الفلسطينيون بإحباط شديد مع نهاية الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي، بسبب مماطلة إسرائيل وجمود المفاوضات، واستمرار الاستيطان والاغتيالات والاجتياحات، ورفض الإفراج عن الأسرى وعودة اللاجئين.

كانت شرارة الانتفاضة في **28أيلول (سبتمبر) 2000**، عندما اقتحم أرئيل شارون المسجد الأقصى وتجول في ساحاته، معلناً أن الحرم القدسي سيبقى إسرائيلياً. اندلعت المواجهات مع المصلين، وسقط سبعة شهداء و 250 جريحاً.

تميزت هذه الانتفاضة بطابعها المسلح. استمرت حتى **8شباط (فبراير) 2005** بعد قمة شرم الشيخ.

نتائج الانتفاضة الثانية:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 4412 فلسطينياً، وجرح 48322. قتل من الجانب الإسرائيلي 1069 (334 جندياً و 735 مستوطناً).
- **الخسائر العسكرية** :تدمير 50 دبابة ميركافا إسرائيلية، والعديد من الجيبات والمدرعات.
- **النتائج على الفلسطينيين** :اغتيال معظم القيادات الفلسطينية البارزة (ياسر عرفات، أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، أبو علي مصطفى)، وتدمير البنية التحتية، وبناء جدار الفصل العنصري.
- **النتائج على الإسرائيليين** :انعدام الأمن وضرب السياحة بسبب العمليات الاستشهادية، مقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي، فشل الجيش الإسرائيلي في كسر شوكة المقاومة في معركة مخيم جنين (التي قتل فيها 58 جندياً)، وضرب اقتصاد المستوطنات.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

بعد فشل المفاوضات وتصاعد الصراعات العربية، نشطت إسرائيل في سياسة الاستيطان وتهويد القدس. تصاعدت وتيرة الاعتداءات: نهب الأراضي، نسف البيوت، مهاجمة المواطنين، حرق أشجار الزيتون، واعتقال النشطاء.

كان آخر الاستفزازات الكبرى إغلاق المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة **14تموز (يوليو) 2017**، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين. خرج المقدسيون في تحدٍ واضح، واحتشدوا حول أبواب المسجد وأدوا صلاة الجمعة، متصدين بصدورهم للجنود. اشتبكوا مع قوات الاحتلال بأيدٍ فارغة، مؤكدين للعالم أن حرمة الأقصى أغلى من الروح.

إن ما تقوم به الصهيونية من عنصريّة وقتل أصبح عبئاً على العالم الذي يكتوي بنارها. لكن التاريخ يثبت أن الظلم زائل، والعدل والمساواة هما سمة البشرية في مواجهة الأشرار، وأن شعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياة المحتلين.

المراجع

1. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1006) – شفيق الحوت وبيان نويهض.
2. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1008).
3. الموسوعة الحرة – ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا